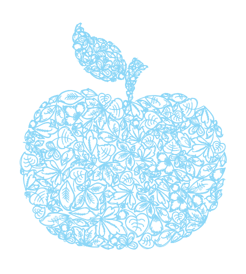
د. يحيى بن ابراهيم اليحيى

أليس في أخلاقنا كفاية





أليس في أخلاقنا كفاية؟

د. يَحْيَى بن إبرَاهِيمَ اليَحْيَى



أليس

في أخلاقنا كفاية؟

د. يَحْيَى بن إبرَاهِيمَ اليَحْيَى

الطبعة الثانية

1435 هـ - 2014م

ح دار الخضيري للنشر، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اليحيى، يحيى بن إبراهيم
أليس في أخلاقنا كفاية / عرض ومناقشة لكتاب كيف تكسب
الأصدقاء وتؤثر في الناس.
/ يحيى بن إبراهيم اليحيى،-ط٢
المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ
ردمك ١ - ٢٠- ٨٠٤٠- ٦٠٣-٩٧٨
.أ. العنوان
١-الصداقة ٢. السعادة ٣-النجاح
ديوي ١٧٧،٦ ٥٥٠٠/ ١٤٣٤
رقم الإيداع ٥٥٠٠/ ١٤٣٤هـ
ردمك ١ - ٢٠- ٨٠٤٠- ٦٠٣-٩٧٨

التنفيذ الفني



دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
ت:4562410 -011
للتواصل الفني والنشر:
0 5 5 2 1 7 4 4 1 2
info@ wojoooh.com





مِفْتاحُ الكتاب

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدِنا مُحمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقَد جاءَ رسُول الله ﷺ بأعظَمِ رسالةٍ، وأقْوَمِ مَنهجٍ للإنسانيّة جَمعاء، فكانَ الرحمةَ المهداةَ، والنِّعمةَ المُسداةَ، والمنقِذَ للبَشريّةً من الظُّلُمات إلى النُّورِ، ومِن الشَّقاء إلى السّعادة، أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧) بياناً لمنهجِهِ، وتوضيحاً لهدَفِ رسالتِهِ، وهُو رحمةُ البشريّةِ وبه إنقاذُها من الخُنُوعِ والذِّلَّةِ وعبادةِ العبيد إلى العزَّةِ والرِّفعةِ بعبادة الله تعالى.

لقد غرَسَ رسولُ الله ﷺ بفِعالِهِ وأقوالِهِ أرفَعَ مَنهجٍ للأخلاق العاليةِ

القائمةِ على مُراقبة الله تعالى ورَجاءِ ما عندَهُ، فكانتْ أخلاقاً ثابتةً غيرَ مُتلوِّنةٍ أو مُتغيّرةٍ بتغير المصالح الشخصية أو النَّزَعات السياسيّة كما هي أخلاقُ الغَرْبِ في حضارته النّفعيّة القاصِرَة.

لقد كادَت رسالةُ النبيِّ ﷺ أن تُحْصَرَ في إتمام الأخلاقِ الحسنةِ فقال: «إنَّما بُعثْتُ لأُتمِّمَ صَالحَ الأخلاق»[1]، وفي رواية قال: «إنّما بُعثْتُ لأُتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاَقِ»[2]، فكانَ رسُولُ الله ﷺ أعظمَ مثَلٍ للأخلاق الفاضلةِ، والمعامَلة الحسَنة مع جميعِ الخلْقِ حتّى أثنى اللهُ عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤)، وقال سُبحانه وتَعالى مُمتَنًّا على المؤمنين بهذا النبيّ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

فكانَ رسولُ الله ﷺ هو المثَلَ التطبيقيَّ لهذا المنهجِ الأخلاقيّ الرّفيع، فتربّى أصحابُهُ على يَدَيه، فضَرَبُوا أرْوَعَ الأمثلة في المعاملةِ الحسَنة، والخُلُق الفاضل، ففَتَحَتِ البَشريّةُ لهم قُلُوبَها قبْلَ أبوابِها، حتّى انتشَرَ الإسلامُ في أصقاعِ الأرض في أقْصَرِ وقتٍ عرَفَهُ العالَمَ في امتدادِ الحضاراتِ والدُّوَل.

لقد عاشَ رسولُ الله ﷺ بينَ ظَهْرَانَيْ أعدائِهِ من المشركين أكثرَ من نِصْف قَرْن، ثُمّ أكمَلَ مُدّةَ حياتِهِ يُجاورُه اليهودُ والمنافقون، فلَم يستطيعوا

١- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح ٢٧٣)، والإمام أحمد في المسند(ح ٨٩٥٢)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- أخرجه البيهقي في السنن (١٠/ ١٩٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٩٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أن يعيبوا خُلقاً مِن أخلاقه! وقَد بذَلُوا أموالَهُم وأراقوا دماءَهُم في حربِهِ وقتاله!.

جُلُّ العُظماء حالتُهُم مع النّاس غيرُ حالَتِهم معَ أهليهم وفي بُيوتهم، ولا يَرضَوْن لزَوجاتِهِم أن يُخبِرْنَ عن أحوالهم!، بل تُعَدُّ حياتُهم الخاصّةُ سرًّا مِن الأسرار التي يُعاقَبُ مَن أفشاها، وكلُّ الناس كذلك! لا يرضَوْن أن يَطّلع أحَدٌ على كثيرٍ من أمورِ حياتِهم الخاصّة في أُسَرِهم.

أمّا رسولُ الله ﷺ فلم يكتفِ بالرِّضا فحسْبُ، بل ندب أن يُنقَل عنه كلُّ شَيء!!، فبَلَّغ أصحابه رضي الله عنهم ما شاهدوه من أموره ﷺ، وبلَّغتْ زوجاته رضي الله عنهن ما كان من أموره الخاصة مما يخفى على غيرهنّ، حتّى أصبَحَ المسلمُ يعرِفُ عَن رسُول الله ﷺ أكثرَ مما يَعرِفُه عن أبيه الملاصِقِ له، السّاكنِ معه!.

لقد عاشَ النبيُّ ﷺ بيْنَ صحابته، وتَزوَّج بتسْعِ نسوةٍ، وأمَر أن يُبلِّغ الشاهدُ منهم الغائبَ[1]، وقال: «**بلِّغُوا عنّي ولَوْ آية...**»[2]، وقالَ: «**نَضّر الله امرءاً سمع منا حديثًا، فحفِظَه حتى يُبلِّغَهُ، فرُبّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقَهُ منه، ورُبّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفقيه**»[3]، ولا سافَرَ وحدَهُ، ولا

١- كما في خطبة حجة الوداع، عند البخاريّ (ح ٦٧)، ومسلم (ح ١٦٧٩): (...ليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ...)، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

٢- جزءٌ من حديثٍ أخرجه البخاري (ح ٣٢٠٢)، والترمذي (ح ٢٦٦٩)، والإمام أحمد في المسند (ح ٦٤٨٦)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

٣- أخرجه أبو داود (ح ٣٦٦٠)، والترمذي (ح٢٦٥٦)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢١٥٩٠)، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

اعتَزل النّاسَ في يومٍ من الأيّام قطّ، وقد تظافر الصحابةُ رضي الله عنهم على نَقْلِ كُلّ شيءٍ عنه، بل تفرَّغَ عددٌ منهم للرِّواية والمتابَعَةِ له كأهلِ الصُّفّة.

لقد وصفُوا قيامَهُ وجُلوسه، وكيف يَنامُ؟، وهيئَتَهُ في ضَحكه وابتسامَته، وكيْفَ اغتسالُهُ ووضوؤُهُ؟، وكيف يشرَبُ ويأكل؟، وما يُعجِبه من الطعام، ووصفوا جسدَهُ الطّاهرَ كأنّك تراه، حتّى ذكرُوا عدَدَ الشّعَرات البِيض في رأسه ولحيته، وبنظرَةٍ في كتاب من كُتُب السّيرة والشمائل تَجدُ العَجَبَ من هذا الشُّمول وهذه الدِّقّة في الوَصْف والنَّقْل!.

ولما ابتعدَ المسلمون عن دينهم وعظُمَ الجهلُ بسيرة نبيِّهم ﷺ شاعَ الفسادُ، وانتَشَر الجهلُ وعمَّ الظلمُ وعَزَّ العدْل، وفسدَتِ الأخلاقُ فحَلَّ الكذبُ بدَلاً من الصّدق!، والعُنفُ بدلاً من الرحمةِ والرِّفق، والخيانةُ بدَلاً من الوفاء، والغضَب بدلاً من كَظْمِ الغَيظ والعَفْوِ عن الناس، والأذَى بدلاً من الإحسان، والبخلُ بدلاً من الكرَم، والجشَعُ بالمكان أو الشّراب أوِ الطّعام بدَلاً من الإيثار، والكِبْرُ بدَلاً من التّواضُع.

حتّى بدَأَ الكثيرُ يتساءَلُ!: أهؤلاءِ المسلمون؟ أينَ العِفَّة؟ أينَ الأمانةُ؟ أين الحياءُ؟ أينَ الرَّحمةُ بالضَّعيف؟ وأينَ الشَّفقةُ على المسكين؟ أين الوُدّ؟ وأينَ العطفُ على المؤمنين؟!!.

فاتَّجهَ بعضُ المثقَّفينَ إلى مَوائدِ الغَرْب يَغترِفون منها! ويَنهَلُون من ساقِيَتها الكَدِرة، ولمّا رأَوْا بعضَ الأخلاقِ الفاضلة والصِّفات الحميدةِ في كتابات بعض كُتَّابهم طارُوا بها!، وظَنُّوا بكاتبها أنّه وحِيدُ زمانه، وفرِيدُ عصرِهِ، وأنّه جاء بما لم تَأتِ به الأوائل!.

ومن هؤلاء الكاتبُ الأمريكيّ (دايل كارنيجي) في كتاباته الجميلةِ مثل كتاب «دعِ القلقَ وابدأ الحياةَ»، وكتاب «كيف تَكسِبُ الأصدقاءَ وتُؤثِّرُ في النّاس».

وقد طُبِعت بعضُ هذه الكتب مِئاتِ الطَّبعاتِ!، وتُرجِمت إلى عددٍ كبيرٍ من اللغات، وتعلق بها بعض المثقفين المسلمين، فقرّروها في كثيرٍ من دورَاتهم الإداريّة.

فلما قرأتُ هذه الكتبَ أعجبَني ما وَصَلَ إليه المؤلِّفُ من خلالِ التَّجارِبِ؛ حيثُ وصَلَ إلى بَعض الأخلاق الفاضلةِ التي قرّرَها شرعُنا الحنيف، وتمثَّلَ بها نبيُّنا الكرِيم ﷺ، وصحبه الكرام رضوان الله عليهم منذُ خمسةَ عشَرَ قَرْنًا من الزَّمان!، إلاّ أنّ المؤلِّف صاغَها بقَالِب المصلحةِ الشّخصيّة، والمنفعةِ الذاتيّةِ القاصرة على الشّخص نفسِهِ في دُنياه القصيرة!، والإسلامُ قد جاء بمُراعاة تلكَ الأخلاقِ مُراقَبةً لله تعالى، ورجاءَ ما عندَهُ.

فرأيتُ عَرْضَ بعضِ ما جاء في تلك الكتُبِ والإشارةَ إلى ما في شريعتنا من الأخلاق المُغْنيَة عنها مع بيان ما في بعضِ كلامه مِن الخَلَلِ والفَساد، حتى يكونَ المسلمُ على بيِّنة مِن دينه، واطِّلاعٍ على أخلاق نبيه ﷺ، والعزمُ قائمٌ إن شاء الله على إخراجِ كتابٍ مفردٍ في شمائل الرسول ﷺ الخاصة بجانب المعاملة.

فاستعرضت كتاب «كيف تَكسِبُ الأصدقاءَ وتُؤثِّر في النّاس»، فحذفت القَصَص والتَّجارِبَ التي ساقَها المؤلِّفُ لبيان سلامة الخُلق الذي أراده، واقتصرتُ على أسهل وأقصرِ عبارةٍ، وكثيراً ما أذكُر كلامَهُ بالمعنى،

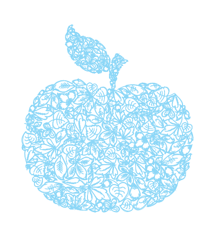
وأُضيفُ إليه ما يُوضِّحُه ويُبيِّنه، مميزا ذلك كله بخط مكبَّرٍ مائل.

أسألُ اللهَ الكريم المنّان التّوفيقَ والسّدادَ والنّفعَ للجَميع، وآمُلُ مِن كُلّ أخٍ فاضلٍ كرِيمٍ له مُلحوظةٌ أو فائدةٌ تتعلَّقُ بالكتاب مُوافاتي بذلك على العنوان التالي، جزاهُ اللهُ خيراً وشكر له صنيعه وأحسنَ إليه.

د. يحيى بن إبراهيم اليحيى

المدينة النبوية

بريد إلكتروني:yiy55555@gmail.com



المقدّمة

ذكَرَ الكاتبُ عدَّةَ اقتراحاتٍ في المقدمة، منها: أنّ الإنسان حتى يستقيمَ سلوكُه ويتطبَّعَ بالطِّباع الطيّبة ويتخلَّقَ بالخُلُق الحسَن الذي يَسمعُه ويقرؤُهُ يحتاجُ إلى يقَظَةٍ ذاتيّة ومُحاسَبةٍ دائمة.

ما قاله الكاتب، فيه شبه بالمراقبةِ الذاتيّة عندَ المسلم، وهي تتجلّى في أعلى صُوَرِها حينَ استشعارِهِ أنّ الله يراهُ ومطَّلعٌ عليه، ففي حديث جبريل الطّويلِ قال رسول الله ﷺ في الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك...**»[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**اتّق الله حيثما كُنتَ، وأتبعِ**

[1] - أخرجه البخاري (ح ٤٨) واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (ح ٩)، عن عُمر رضي الله عنه.

السّيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ النّاس بخلُقٍ حسَن»[1]، وقد نبَّه أنسُ بنُ مالك ﵁ علَى أهميّة المراقبة الذاتيّة عند الصّحابة ﵃، وآثارِ التّهاوُن بها عندَ مَن بعدَهُم، فقال: «**إنَّكم لتَعمَلون أَعمالاً هِيَ أَدَقُّ في أعيُنِكُم مِن الشَّعَر إن كُنّا لَنَعُدُّها على عهد النّبيّ ﷺ مِن المُوبِقات**»[2]. قال البخاري: يعني بذلك المهلِكات.

وبيَّن ابنُ مسعودٍ ﵁ الفرْقَ بينَ المؤمِن صاحبِ المراقَبة الذّاتية، والمنافِقِ الغافلِ المنهَمِك في مصالحه الشّخصيّة، فقال: «**إنّ المؤمِنَ يَرى ذُنوبَهُ كأنّهُ قاعدٌ تحتَ جبلٍ يَخافُ أن يَقع عليه، وإنّ الفاجر يَرى ذُنوبَهُ كذُبابٍ مَرَّ على أنفِهِ فقال به هكذا، قال أَبُو شِهاب: بيدِهِ فوقَ أنفِهِ**»[3].



واقترَحَ المؤلّفُ أن يجعلَ الإنسانُ في (جَيبه) مُفكِّرةً يُحاسِبُ نفسَهُ على أخطائِها ثُمّ يُقوِّمُ الأخطاءَ بعد ذلك.

وكلامه هنا من جنس ما يُعرَف في المصطلح الشّرعيّ بالمحاسَبة، كما قال عمرُ بنُ الخطّاب ﵁: «**حاسِبُوا أنفُسَكم قبلَ أن تُحاسَبوا، وزِنُوا أعمالَكُم قبلَ أن تُوزَنوا؛ فإنّه أهْوَنُ عليكُم في الحساب غدًا أن تُحاسِبُوا أنفُسَكم اليومَ،**

١- أخرجه الترمذيّ (ح ١٩٨٧)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢١٤٠٣)، عن أبي ذر ﵁.
٢- أخرجه البخاري (ح ٦٤٩٢)، والإمام أحمد في المسند (ح ١٢٦٠٤).
٣- أخرجه البخاري (ح ٦٣٠٨)، وأبو شهاب هو عبدُ ربِّهِ بنُ نافع الحنَّاطُ الصّغير، أحدُ رِجال السند، وأخرجه الترمذي (ح ٢٤٩٧)، والإمام أحمد في المسند (ح ٣٦٢٧).

وتَزيَّنُوا للعَرْض الأكبر، يومَئذٍ تُعرَضُون لا تَخفَى منكُم خَافية»[1].

وقال الحسنُ البَصريّ في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة:٢): **«إنّ المؤمنَ لا تراهُ إلاّ يلُومُ نفسَهُ، يقول: ما أردتُ بكَلِمَتي؟ يقول: ما أردتُ بأكْلَتي؟ ما أردتُ بحديثِ نفسي؟ فلا تراه إلاّ يُعاتِبُها، وإنّ الفاجرَ يمضي قُدُمًا فلا يُعاتِبُ نفسَهُ!»**[2].



وأن يستعينَ على ذلك بزَوجته وأولادِهِ، وأن يَجعَل منهم رُقباءَ عليه، كأن يَضَعَ لهم جائزةً إن ضَبطُوه يَتصرَّفُ بخِلاف هذه الأخلاق.

الطريقة التي ذكرها مفيدة في بعض الأحيان، وقد فعَلَها أميرُ المؤمنين العالِم التّقيُّ الرّاشد عمرُ بنُ عبدِ العزيز مع مَولاهُ، قال عُمرُ بنُ عبدِ العزيز لمولاهُ مُزاحم: **«إنّ الوُلاةَ جعَلُوا العُيُونَ على العَوامّ، وأنا أجعَلُك عَيني على نفْسِي، فإن سَمعْتَ مِنّي كلمةً تَرْبأُ بي عنها، أو فِعْلاً لا تُحبُّه، فعِظْني عندَهُ، وانهَني عنه»**[3]، فلَمْ يَستنكِفْ أن يَجعَلَ على نفسِه رقيباً وهو أميرُ المؤمنين، العالمِ الزّاهدُ الجليل.

١- أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٠٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٩/ ١٤٣)، وأبونعيم في الحلية (١/ ٥٢)، وابنُ الجوزي في ذم الهوى (ص ٤٠)، وذكره الترمذي بعد (ح ٢٤٥٩) معلّقًا بصيغة التمريض.

٢- أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص ٢٨١)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص ٢٤).

٣- ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ١٨)، وأخرجه أبو بكر الدينوَري في المجالسة (٣/ ٦٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٠/ ٣٠٧).

وأبلَغُ مِن هذا قولُ أبي بكر الصّديق ﷺ في خُطبة تَوَلِّيهِ الخلافةَ: «...**فإن أنا أحسنتُ فأعينُوني، وإن أنا زِغتُ فقوِّمُوني...**»[1]، وقولُ الفاروقِ عمرَ بنِ الخطّاب ﷺ: «**أَحبُّ النّاسِ إليَّ مَن رفع إلي عُيُوبي**»[2].

وهذا دأبُ الصّالحينَ والنُّبلاءِ على مَرِّ التّاريخ في هذه الأمّة المجيدة.



١- أخرجه أبو عبيد في الأموال (ص ١١)، وعبد الرزّاق في المصنف (١١/ ٣٣٦)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٣)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٤/ ١٨٨٨).
٢- أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٧٣).



الجزء الأول:

كيف تعامل الناس؟

الفصل الأول

اجْنِ العَسَل
دُون أن تَحْطِمَ خَليّة النّحل

ذكَرَ قصَّتَينِ لأكبرِ مُجرِمَينِ في أميركا!، وأنّهما يَنظُرانِ إلى أنفُسِهما أنّهما لم يُخطِئا، وأنّ المجتمعَ هُو الّذي أجبَرَهُما على فِعْل ما فَعَلا، وأنّهما يُريدانِ بذلك إصلاحاً!، ثُمّ عقَّب على ذلكَ أنّه إن كانَ هذان المجرِمان لم يَرغَبا أن يُوجَّه لهما لومٌ، فمن باب أولى أن لا يتحمل الرِّجال المحتَرَمون اللوم القاسي على هَفْوةٍ طَفيفةٍ أو خطإٍ يسيرٍ؟!، إذَن مِن الخطأ أن تُوجِّهَ اللَّوْمَ الشديد إلى أحَد!.

صحيحٌ أنّ كلَّ إنسانٍ لا يُحبُّ أن يُلامَ، ولكن لو تُرِك المجتمعُ هكذا لخُرِقتِ السّفينةُ وغَرِقَ المجتمعُ كلُّه!، ولكن يُعرَفُ لذَوِي الإحسان إحسانُهُم، ولعلَّ هفَواتِهم تكون نُقطةً في بِحارِ حسناتِهم، كما

قال رسولُ الله ﷺ: «أَقِيلُوا ذَوِي الهيْئَاتِ عَثَرَاتِهِم إلاّ الحدُودَ».(١)

أما أهلُ الإجرامِ فإنّه يُؤخَذ الحقُّ منهم، ولكن لا تُزاد العقوبةُ على الحدّ الشّرعيّ مهما فعلَ مِن جُرْم؛ فعن عُمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه أنّ رجُلاً على عَهْدِ النّبيّ ﷺ كان اسمُه عبدَ الله، وكان يُلقَّبُ حمارًا، وكان يُضحِكُ رسولَ الله ﷺ، وكان النبيُّ ﷺ قد جلَدَهُ في الشّراب، فأُتي به يومًا، فأَمَرَ به فجُلِد، فقال رجلٌ من القَوْم: اللّهُمَّ الْعَنْهُ ما أكْثَرَ ما يُؤتَى به! فقال النبيّ ﷺ: «لا تَلعنُوهُ؛ فَوَاللهِ ما علمتُ إلاّ أنَّهُ يُحبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».(٢)



وفي آخِرِ الفَصْل قال: أَتمِمْ نقْصَ نفسِك أوّلاً:

كلامه فيه شيءٌ من الصحة، فقد أنكر الإسلامُ على مَن التفَتَ إلى عُيُوب النّاس وأهمَلَ عيبَهُ!، أو أرشَدَ النَّاسَ وغفَلَ عن نفسه!، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤).

وفي وصية عبّاد بن عبّاد الخواص: «...**وأن تكُونُوا مع ذلك بعُيُوبِ أنفُسِكم أغْنَى منكُم بعُيُوبِ غَيْرِكم**...»(٣)، ولقد أجاد مَن قال(٤):

١- أخرجه أبو داود (ح ٤٣٧٥)، والنسائي في الكبرى (ح ٧٢٩٤)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٥٤٧٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

٢- أخرجه البخاري (ح ٦٧٨٠) واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده (ح ١٧٦).

٣- أخرجه الدارمي (١/ ١٦٢).

٤- القائلُ هو أبو الأسود الدؤلي على الأصح، انظر خزانة الأدب للبغدادي (٨/ ٥٦٧).

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ ... عارٌ عليك إذا فعَلتَ عظيمُ
ابدأْ بنفسِكَ وانهَها عن غيِّها ... فإذا انتَهَتْ عنه فأنتَ حكيمُ
فهناكَ يُقبَلُ ما وَعظتَ ويُقتَدَى ... بالعلمِ منكَ وينفَعُ التعليم

ثُمّ بيَّن أنّ النّقدَ مُرُّ المذاق، ثقيلٌ على النّفس البشريّة تتهرَّبُ منه ما استطاعت.

وهذا الكلام صحيح وهو مما كان يُراعيه رسولُ الله ﷺ مِن البُعدِ عن النّقد الجارحِ والمباشِر، ولهذا كان نادرًا ما يُوجِّه النبيّ ﷺ التّخطئةَ إلى شخصٍ معيَّنٍ، بل يقول: «**ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا**».[1]



وذكَر أنّ الانتقادَ واللّومَ في آخِرِ الأمْر لا يَحتاجُ إلى مَوهبةٍ خاصّة، أو بذْلِ نشاطٍ كبيرٍ؛ ففي وُسْع أيِّ أحمق أن يُشنِّع على أيّ رجُلٍ عبقَريّ، وأن يَتّهِمَهُ، ويسخَرَ منه، ويَجعلَهُ أُضحُوكةً بين النّاس.

وقد صدَق في هذا؛ فكلٌّ يُحسِنُ الشّتم، ولكنّ القليلَ الذي يُحسِن الخُلُقَ الحسَنَ والكَلامَ الجميل، قالَ الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ (البقرة: ٨٣) وقال سُبحانه: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ (الحج: ٢٤).



١- أخرجه مسلم (ح ١٤٠١)، والإمام أحمد في المسند (ح ١٣٥٣٤)، عن أنس ﷺ.

وختَمَ الفصْلَ بقوله: دعْنَا نُحاوِل أن نفهَمَ الآخَرِينَ، ونَنتحِلَ لهم الأعذارَ حينَ تقصيرِهِم، فهذا أمتع من اللّوم، كما أنّه أقربُ إلى الإنصافِ، وأجدَرُ بالرّجال المحترمِين.. فلماذا تأخذُنا الحميّةُ والطّيشُ فنُسرِعَ إلى لَوْمِ الآخَرِين ونقدِهم بلا رَوِيّةٍ ولا تَبصُّر؟! إنّ عليَّ وعليك ألاّ نعجَلَ بمحاسبة النّاس.

إدراك الظروف المحيطة بالعمل من أسباب الْتِماس العذر للمُخطِئ؛ فقد ترك أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب ﵁ إقامةَ حدِّ السرقة عامَ الرَّمادة لشدة المجاعة، مراعاةً للظروف التي نزلتْ بالناس، فكيف بما دون ذلك من أخطاء؟!، أليس مراعاةُ ظروفِ أهلها والْتِماسُ الأعذار لهم أولى وأحرى؟!.

ومن أمتع صُوَر هذا الأسلوب قولُ النبيّ ﷺ: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**»، ففي الحديث عن أنسٍ، قال: كان النبيّ ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إحدى أمهاتِ المؤمنين بصَحْفةٍ فيها طعام، فضَربتِ التي النبيُّ ﷺ في بيتها يدَ الخادم، فسَقطتِ الصَّحْفةُ فانفلَقَتْ!، فجمع النبيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفة، ثم جعل يجمع فيها الطعامَ الذي كان في الصَّحْفة، ويقول: «**غارَتْ أُمُّكم**»، ثم حَبس الخادمَ حتى أُتِي بصَحْفةٍ من عندِ التي هو في بيتها، فدفع الصَّحْفَةَ الصحيحةَ إلى التي كُسرت صَحْفتُها، وأمسك المكسورةَ في بيت التي كَسرَتْ.[1]

وَالتبيُّنُ والتثبُّت مِن أعظم صفات الأمّة المسلمة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ (الحجرات: ٦).

١- أخرجه البخاري (ح ٥٢٢٥)، وأبو داود (ح ٣٥٦٧)، والنسائي في الكبرى (ح ٨٩٠٣)، عن أنس ﵁.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يقولُ للفَرْد مِن أصحابه إذا قصَدَ التّثبُّتَ منه: «أَلَمْ أُخبَرْ أنّك تفعَلُ كَذا وكَذا»[1]، فيتبيَّنُ منه قبلَ أن يُناقشه.



١- انظر -مثلاً- صحيح البخاري (ح ١١٥٣)، ومسلم (ح ١١٥٩)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٩٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٣٠٤).



الفصل الثاني

السرُّ في كيف تعامل الناس؟

ذكَر أنّ مَقاصدَ النّاس في كلّ أعمالهم هو حُبُّ الظُّهور، يَستوي في ذلك مُجرِمهم وسوِيُّهم.

ولا شكَّ أنّ من طبيعة النّفس البشريّة حُبَّ الذّكر والظهور إلاّ مَن كان يَنشُد أمرًا أكبرَ مِن ذلك، وهُو رضا الله والفَوزُ بجنّتِه؛ فإنّك تَجدُه يقومُ بأعمالٍ عظيمةٍ مِن إعانةِ النّاس، أو السّعي في الخير عامّة سرًّا، ويَكرهُ أن يطّلعَ عليه أحدٌ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩)، وكان مَسلَمةُ بن عبد الملك قد حاصَر مرّةً حِصْنًا، فنَدَبَ النّاسَ إلى نَقْبٍ منه، فمَا دخَلَه أحدٌ!، فجاء رجلٌ مِن عُرْضِ الجيش فدخَلَهُ ففتَحَهُ الله عليهم، فنادَى مَسلَمةُ: أينَ صاحبُ النَّقْبِ؟ فما جاءه

أحد!، فنادَى: إنّي قد أَمرْتُ الآذِنَ بإدخالِهِ ساعةَ يأتي!، فعزَمْتُ عليه إلاّ جَاء!،.. فجاءَ رجلٌ فقال: استأذِن لي علَى الأميرِ، فقال له: أنتَ صَاحبُ النّقْبِ؟ قال: أنا أُخبرُكم عنه!، فأتَى مَسلَمةَ فأخبرَهُ عنه، فأَذِنَ له، فقال له: إنّ صاحِبَ النَّقْبِ يأخُذُ عليكُم ثلاثاً: ألاّ تُسَوِّدوا اسمَهُ في صحيفةٍ إلى الخليفة، ولا تأمُرُوا له بشَيءٍ، ولاَ تَسأَلُوه ممّن هُو؟!، قال: فذاك له، قال: أَنَا هُو!!، فكان مَسلَمةُ لا يُصلِّي بعدَها صلاةً إلاّ قال: اللَّهُمّ اجعَلْنِي معَ صاحِبِ النَّقْبِ!.[1]

وقال الحسن البَصريّ: «أدركتُ أقواماً ما كانَ أحدُهُم يَستطيع أن يُسِرَّ عملا فيُعلِنه!؛ قد علموا أنّ أحرزَ العمَلَين من الشيطانِ عمَلُ السّرِّ، وإنّ أحدَهم لَيكونُ عنده الزَّوْرُ وإنّه لَيُصلِّي خلْفَ الوجه ما يَعلَمُ به زَوْرُه!»[2].

ومن ذلك قصَّةُ زينِ العابِدين عليّ بن الحسين لم يَعلَمْ أهلُ المدينة أنه هو المتصدِّقُ على بُيُوتَات الفقراء والأرامل إلاّ بعد موته؛ إذ كان يأتيهم ليلاً خُفْيةً فيَضَعُ الطّعامَ على أبوابهم![3].

وكان عامِر بنُ عبد الله بن الزّبير يضَع الدنانير في أَحذِية القُرّاء وهُم يُصَلُّون، فلمّا سُئل لِمَ لا تُعطيهم بنفسك أو ترسلُ بها خادمَك؟ قال: «أكرَهُ أن يَتمعَّرَ وجهُ أحدِهم إذا نَظَر إلى رَسُولي، وإذا لَقِيَني».[4]

١- أخرج هذه القصةَ ابنُ قتيبة في عيون الأخبار (١/ ١٧٢)، وأبو بكر الدِّينوَرِي في المجالسة (٤/ ٢٠١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ٢٧).

٢- أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص ٢٦٢)، وابن المبارك في الزهد (ص ٤٥).

٣- صفة الصفوة (٢/ ٩٦)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩٢).

٤- صفة الصفوة (٢/ ١٣١).

ثُمّ قال: وبما أنّ حُبّ الظُّهور رغبةٌ جامحة عند النّاس أفليسَ خدمةً كبيرة أن نُشبعَ فيهم هذه الرغبة؟! وذلكَ عن طريقِ الثّناء والمديح، وعدَمِ التّفتيشِ عن الأخطاء، أو رَفْع العقيرة باللّوم والنقد.

هذا مُسلّمٌ إذا كان المديحُ يَبني خصالاً طيّبةً عند الممدوح، كما قال رسولُ الله ﷺ: «**نِعْمَ الرّجلُ عبدُ الله لو كان يُصلِّي من اللّيل**».[1]

أمّا إن كان المدحُ يَقُود إلى الغُرُور وينمي الشعور بالعَظَمة في نفس الممدوح فقد نهى الشرع عنه، كما في الحديث: «**أَهْلَكتُم أو قَطَعتُم ظَهَرَ الرّجُل**»[2]، وفي حديثٍ: «**احثُوا في وُجُوه المدَّاحِينَ التُّراب**».[3]

ثُمّ قال: إذا كان الخطأُ والتّقصيرُ قد وقَع فلا فائدةَ مِن اجترارِهِا!، بلِ الفائدةُ كلُّ الفائدةِ في إنقاذِ ما يُمكنُ إنقاذُه منه.

هذا مُسَلَّمٌ به، وكانَ من هدْي النّبيّ ﷺ في تَصحيحِ الأخطاء، تعديل الخطأ في حينه، وتداركهُ قبلَ استفحالِهِ، وطيّ صحيفتِهِ بعدَ ذلكَ، وقطع الحديثِ عنه، وكان مِن أكبرِ الأخطاءِ التي وقعَتْ رسالةُ حاطبِ بنِ أبي بَلتعةَ ﷺ إلى قُريشٍ يُخبرُهم بتحرُّك الجيشِ الإسلاميّ تجاهَهُم؛ فإنّ ظاهرَ هذا الفعلِ خيانةٌ عسكريّةٌ عُظمى!.

فماذا فعَلَ رسول الله ﷺ تُجاهَ هذا الرَّجُل؟ وكيفَ تَعامَلَ معَ هذا الموقف؟، هل جعلَهُ عُرضةً للنّاس يَلُوكُه كلُّ لسانٍ؟ أم هل سَارَع بإيقاعِ

١- أخرجه البخاري (ح ١١٢٢)، ومسلم (ح ٢٤٧٩)، عن أم المؤمنين حفصة ﷺ.

٢- أخرجه البخاري (ح ٢٦٦٣)، ومسلم (ح ٣٠٠١)، عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

٣- أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح ٢٣٨٢٤) واللفظ له، ومسلم (ح ٣٠٠٢)، عن المقداد ﷺ.

عُقوبةِ القتلِ عليه؟!، لقد دعاهُ واستَفسَر منه عن سبَبِ فعله هذا!، ولَمّا تبيَّنَ له صِدقُه نظَرَ إلى أعمالِهِ السّابقة فوجَدَ فيها من الأعمال العظيمةِ ما يُغمَر فيه ذلك الخطأُ، وطوَى ملفَّ القضية بقوله ﷺ لعُمرَ بنِ الخطّاب لَمّا أشارَ بقتلِهِ: «**إنّهُ قد شَهِدَ بَدرًا، وما يُدريك لعَلَّ اللهَ أن يكونَ قد اطَّلَع على أهل بدرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم؛ فقد غفرتُ لكُم**».[1]

ولكنَّ هذا الأسلوبَ ليس على إطلاقِهِ؛ فالرّسُول ﷺ يُعالِجُ الخطأَ بما يُناسِبُ المقامَ والشَّخصَ الّذي تقَعُ منه المخالَفَةُ!، فهُنا قالَ عن حاطِبٍ رضي الله عنه: «**صدَقَ، فلا تَقُولُوا إلاّ خيرًا**»[2]، ولكنّ أسامةَ رضي الله عنه لما قتل الرّجلَ بعد ما قال: «لا إله إلا اللهُ» عاتبَهُ ﷺ ولامَهُ لوماً شديداً، حتى أثَّرَ هذا على أسامةَ وتمنّى أنّه لم يُسلِم إلا تلك الساعةَ[3]. وتبرَّأَ مما فعَلَهُ خالد رضي الله عنه، وذلك في ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعَثَ النبيُّ ﷺ خالد بنَ الوليد إلى بني جَذِيمةَ فدعاهُم إلى الإسلامِ فلَم يُحسِنوا أن يقولوا: أسلَمْنا، فجعلوا يقُولون: صَبأْنا صَبأْنا، فجعَلَ خالدٌ يقتُل منهم ويَأسِر، ودفَعَ إلى كلّ رجلٍ منا أسيرَهُ، حتى إذا كانَ يومٌ أمَرَ خالدٌ أن يقتُلَ كلُّ رجلٍ منّا أسيرَهُ! فقلتُ: واللهِ لا أقتُل أسيرِي ولا يقتُلُ رجلٌ من أصحابي أسيرَهُ، حتّى قدِمنا على النبيّ ﷺ فذكَرْناه، فرفَعَ النّبي ﷺ يدَهُ فقال: «**اللَّهُمّ إنِّي أبرَأُ إليك مما صنَع خالد**» مرَّتَين.[4]

١ – أخرجه البخاري (ح ٣٠٠٧) واللفظ له، ومسلم (ح ٢٤٩٤)، عن عليّ رضي الله عنه.
٢- أخرجه البخاري (ح ٣٩٨٣)، وهو لفظ من ألفاظ حديث عليّ رضي الله عنه.
٣- أخرجه البخاري (ح ٤٢٦٩)، ومسلم (ح ٩٦)، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
٤- أخرجه البخاري (ح ٤٣٣٩)، والإمام أحمد في المسند (ح ٦٣٨٢).

وبيَّن أنّ التقديرَ من الغَيْر غذاءٌ للنّفس، أعظَمُ عندَها من الطّعام والشّراب اللّذَيْنِ يُمكِنِ الصّومُ عنهما، وليسَ المقصود التّصنُّعَ والكَذِبَ.

كلامه سليم؛ إظهار الاحترام للناس وإنزالهم منازلهم يعطيهم طاقة تحفزهم على البذل والعطاء، فقد كان النبي ﷺ يقدر مواهب الصحابة ويثني على أعمالهم، فمن ذلك قوله ﷺ: «**كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ**»،[1] وقوله لحسان رضي الله عنه: «**اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ**».[2]

ثُمّ قال: فكُلُّ إنسانٍ يفضُلُكَ في شيء فهو كُفؤٌ لِأن يُعلِّمَك إيّاه.

وهذا في الغالب، فإنّ الذي أمامَك قد يَفضُلُك في خَصْلة من الخصال، فعليك العمَل على كشفِها والاستفادةِ منها.

قال سُفيانُ بنُ عيينة: «**لا يَكُونُ الرجل من أهل الحديثِ حتى يأخُذَ عمَّن فوقَهُ، وعمَّن هو دُونَهُ، وعمَّن هو مثلُهُ**»[3].



١- أخرجه مسلم (ح ١٨٠٧)، والإمام أحمد في المسند (ح ١٦٥٣٩).
٢- أخرجه مسلم (ح ٦٥٥٠).
٣- أخرجه الخطيب في الجامع (٢/ ٢١٨).



الفصل الثالث

الطُّعْم المناسِب هو الّذي يَصطَادُ السَّمَك

بيَّنَ فيه أنّ الشّخصَ الناجح هُو الّذي يَستطيع أن يَجعلَ في الآخَرِين رغبةً جامحةً في أن يَفعَلُوا له ما يُرِيد!.. وذلكَ يكون بمعرفةِ وِجْهَة نظرِهِم واعتبارِها، وإدراكِ رغَبَاتِهِم والتَّجاوُب معَها.

نعم، إنّ احترامَ الآخَرِين والاعترافَ بفضْلِهم وتقديرَ أعمالهم وسابِقَتِهم من الأخلاق الساميَةِ الثّابتة التي جاء بها دينُنا، وهي التي تَبْنِي في الآخَرِين حُبَّ الخيرِ والتحمُّسَ له، والانقيادَ لمن يَتعامَل معَهُم بمثل هذِهِ الأخلاقِ الرائدة.

انظُر إلى مُعامَلة النبيّ ﷺ للأنصارِ يومَ حُنَين، فعَن أبي سعيدٍ الخُدرِيّ رضي الله عنه قال: اجتمَع أناسٌ من الأنصارِ فقالوا: آثَرَ علينا غيرَنا، فبلَغ ذلك النّبيَّ ﷺ،



فجمَعَهُم ثُمّ خطَبَهم فقال: «**يا معشَرَ الأنصارِ أَلَمْ تكونُوا أذِلَّةً فأعَزَّكم اللهُ؟**»، قالوا: صدَقَ الله ورسولُهُ، قال: «**أَلَمْ تكُونُوا ضُلّالاً فهَداكم الله؟**»، قالوا: صدَقَ الله ورسولُه، قال: «**أَلَمْ تكونوا فُقَراءَ فأغناكُم الله؟**»، قالوا: صدَقَ اللهُ ورسولُه، ثُمّ قال: «**ألا تُجيبونَني؟ ألا تقُولُون: أتيتَنا طرِيدًا فآوَيناكَ، وأتيتَنا خائفًا فآمَنّاك؟ ألا تَرضَوْن أن يذهَبَ النّاسُ بالشّاءِ والبُقْرانِ -يَعني البَقَر- وتذهَبون برسول الله ﷺ فتُدخِلُونه بُيُوتَكم؟! لو أنّ الناسَ سلَكُوا واديًا أو شُعْبةً وسلكتُم وادِيًا أو شُعْبة سلَكْتُ وادِيَكُم أو شُعْبَتَكُم، لولا الهجرَةُ لكُنتُ امرأً مِن الأنصار، وإنّكُم ستَلقَون بعدي أَثَرَةً فاصْبرُوا حتّى تلقَوني على الحوْض**».[1]

وعنِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لما نَزلَ رسُولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْران قال العباسُ: قلتُ: والله لئن دخَلَ رسولُ الله ﷺ مكَّةَ عَنْوةً قبلَ أن يأتُوه فيَستأمِنُوه إنّه لَهلاكُ قريش، فجلستُ على بَغلَةِ رسُولِ الله ﷺ فقلتُ: لَعلِّي أَجِدُ ذا حاجَةٍ يَأتي أهلَ مَكَّةَ فيُخبِرهم بمكان رسولِ الله ﷺ؛ ليَخرُجوا إليه فيَستأمِنُوه، فإنّي لَأسيرُ إذ سَمعتُ كلامَ أبي سُفيانَ وبُدَيلِ بنِ وَرْقاءَ، فقلتُ: يا أبا حَنظَلَةَ، فعرَفَ صوتي فقال: أَبُو الفَضْل؟ قلتُ: نَعَم، قال: ما لَكَ فِداك أبي وأُمّي؟ قلتُ: هذا رسولُ الله ﷺ والناس، قال: فما الحِيلةُ؟ قال: فرَكِبَ خَلْفي ورَجَع صاحبُهُ، فلما أصبَحَ غدَوْتُ به علَى رَسُول الله ﷺ فأسْلَمَ، قلتُ: يا رسولَ الله إنّ أبا سُفيانَ رجلٌ يُحبّ هذا الفخْرَ فاجعَل له شيئًا، قال: «**نَعَمْ مَن دخَل دارَ أبي سُفيان فهُو آمِنٌ، ومَن أغلَقَ**

١- أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح ١١٥٤٧)، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥٢٩).

عليْهِ دارَهُ فهُو آمِنٌ، ومَن دخَلَ المسجدَ فهو آمِنٌ»، قال: فتفرَّقَ الناسُ إلى دُورِهم وإلى المسجِد.[1]



١ - أخرجه البيهقي في السنن (٩/ ١٨)، وأبو داود (ح ٣٠٢٢)، وأصله في مسلم (ح ١٧٨٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.



الجزء الثاني:

كيف تجعل الناس يحبونك؟

الفصل الأول

قال فيه: إذا أردتَ أن يَهتمّ بك الناسُ ويُحبّونك، فضَعْ نفسَك في مكانهم، واهتمَّ بهم، وأحِبَّهم وامدُد لهم يدَ المساعدة، نزيهةً مُخلِصة لا تَشُوبها الأنانية، وكن سَمْحاً بَشُوشاً وأنت تفعلُ ذلك.

وبيَّن أنّ هذا سرُّ نَجاحِ كثيرٍ من السياسيين، وفشلِ كثيرٍ منهم عند عدم اهتمامِهِم بالنّاس، وأنّها من أنفَع الأُمُور في دُنيا المالِ والتِّجارة.

ربَطَ الكاتبُ هذا الخُلُقَ بما يُمكن أن يَجنيَهُ في هذه الحياة من المصلحة الخاصّة، وفي هذا دليلٌ على التلوُّن والتغيُّر كلَّما لاحَتْ لأحدِهم مصلحةٌ شخصيّة يَجني منها أرباحاً أكثَرَ.

لكنّ الإسلام ربَط هذا الخلُقَ بالثّواب في الآخرة، وذلك مما يُثبِّت هذه الأخلاقَ ويُعمِّق جُذورَها ويُؤصِّلها.

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنّ المؤمنَ لَيُدرِكُ بحُسن خلُقِه درجةَ الصّائم القائم**».[1]

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**ما شيءٌ أثقلُ في مِيزان المؤمن يومَ القيامة مِن خُلُق حسَنٍ، وإنّ الله لَيُبغضُ الفاحشَ البَذِيء**».[2]

وعن جابرٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منّي مجلسًا يومَ القيامة أحاسنكُم أخلاقا، وإنّ أبغَضَكُم إليَّ وأبعدَكُم منّي مجلسًا يومَ القيامة الثَّرثارُونَ والمتشدِّقُونَ والمتفيهِقُونَ، قالُوا: يا رَسولَ الله قد علمْنا الثّرثارُون والمتشدِّقون، فما المتفَيهِقُون؟ قال: المتكبِّرُون**»[3].

أمّا صاحبُ الخُلُق السيئ المتعالي على الناس فقد يُهابُ مِن أجل تسلُّطِه أو نفوذِه إن كان عنده ذلك، ولكنه إذا فقد منصبه سقط من أعين الناس ولم يَأبَهوا به!.

قال الإمامُ الشافعي[4]:

ومَن هابَ الرّجالَ تَهيَّبُوهُ ومَن حقَرَ الرّجالَ فلَن يُهابا

١- أخرجه أبو داود (ح ٤٧٩٨)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٥٠١٣).
٢- أخرجه الترمذي (ح ٢٠٠٢)، واللفظ له، وابن حبان (٧/ ٤٨١)، وعبدالرزاق في المصنف (١١/ ١٤٦).
٣- أخرجه الترمذي (ح ٢٠١٨)
٤- كما في ديوانه (ص ٢٧).



الفصل الثاني

كيف تطبَعُ أثرًا في مَن تلقاه؟

إنّ قسَمات الوجهِ خيرُ مُعبِّرٍ عن مَشاعر صاحبِهِ؛ فالوَجْه الصَّبوحُ ذو الابتسامةِ الطّبيعيّة الصّادقة خيرُ وسيلةٍ لكَسْبِ الصداقة والتعاونِ مع الآخرين، إنّها أفضلُ من مِنحة يقدِّمها الرجل، ومِن أرطالٍ كثيرةٍ من المساحيق على وجه المرأة؛ فهي رمزُ المحبّة الخالصة، والوِداد الصّافي.

بهذا صدَّرَ المؤلّف هذا الفصل.

وذكَرَ أنه طَلَب من تلاميذِهِ أن يَبتسم كلٌّ منهم لشخصٍ مُعيَّن كلَّ يومٍ لمدّة أُسبُوع واحد.. فجاءه أحدُ التلاميذ مِن التجار وقال له: اخترت زوجتي للابتسامة ولم تكن تعرفُها منّي قط، فكانت النتيجةُ أنّني اكتشفتُ سعادةً جديدةً لم أذُقْ مثلَها طوالَ الأعوام الأخيرة! فحفَّزَني ذلك إلى

الابتسامِ لكُلِّ مَن يتَّصِل بي... فصارَ النّاس يُبادلونَني التّحيّة، ويُسارِعون إلى خِدمَتي، وشعَرت بأنّ الحياة صارتْ أكثرَ إشراقاً وأيسرَ مَنالاً، وقد زادت أرباحي الحقيقية بفضْلِ تلكَ الابتسامة.

هذا الكلام فيه شيء من الصحة، ولكن يؤخذ عليه ربطُه الأخلاقَ بالمصالح الآنية فإنّ الأخلاقَ حين تَرتبط بالأهداف الماديّة تُصبح أخلاقاً مصطَنعةً ومتكلَّفة، وفي الغالب لا تَزرعُ ودًّا، ولا تُنبِت حُبًّا، وتجعَل التعامُلَ بين الناسِ قائماً على المصالح المتبادَلة، وكلُّ واحدٍ يَخشى الآخَرَ، ومهما رأى مِن صاحبِه طلاقةَ الوجه وارتَسَمَتْ الابتسامةُ علَى شَفتيه فإنّه على يقينٍ أنّ هذا لهِدفٍ يقصِدُ الوصولَ إليه مِن خلاله.

أما الإسلامُ فقد سبَقَ إلى هذا الخلُقِ الرّفيع، وأصَّلَهُ عندَ أهله حينَ تقيّدوا بتوجيهات نبيهم ﷺ، لا مِن أجْل أن يَجنُوا أرباحاً ماديةً في هذه الحياة الدّنيئة، وإنّما ليُدخِلوا السُّرورَ والسّعادَةَ في صُدور إخوانِهم رجاءَ الأجرِ والمثُوبة من الله تعالى.

قال رسولُ الله ﷺ: «...... **تبسُّمُك في وجهِ أخيكَ صدقة**»[1]، وقال ﷺ : «...**والكلمةُ الطيِّبة صدقـة**»[2]، وقال ﷺ: «**كلُّ معروفٍ صدقة**»[3]، وقال ﷺ: «**لا تَحقِرنَّ مِن المعروف شيئًا ولو أن تَلْقى أخاك بوَجْهٍ طَلْق**»[4].

١- جزءٌ من حديثٍ أخرجه الترمذي (ح ١٩٥٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ح ٨٩١)، عن أبي ذرّ رضي الله عنه.

٢- جزءٌ من حديثٍ أخرجه البخاري (ح ٢٩٨٩)، ومسلم (ح ١٠٠٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣- أخرجه البخاري (ح ٦٠٢١)، عن جابرٍ رضي الله عنه، ومسلم (ح ١٠٠٥)، عن حذيفةَ رضي الله عنه.

٤- أخرجه مسلم (ح ٢٦٢٦) واللفظ له، والإمام أحمد في المسند (ح ٢١٥١٩)، عن أبي ذرّ رضي الله عنه.

ثُمّ قال: يَنالُ الناسُ من السّعادة بقدْرِ ما وطَّدُوا عزمَهُم على أن يُصبِحُوا سُعَداء.

ثُمّ قال: ليسَ هنالك ما يَحِقّ له أن يَحرِمك من الابتسام، تذكَّرْ نعمةَ الله في وُجُودك، وفي مَنحِهِ إيّاك دُرّةً ثمينة في رأسك، هي العقل، فاستَعمِلْها قدْرَ إمكاناتك، وحدِّدْ هدَفَك، ثُمّ تقدَّمْ إليه بثقةٍ، وأنا كفيلٌ بفَوْزِك.

هذا غير مسلّم به، فالسعادة التي ذكرها هي سعادة مؤقتة وفي جانب معيَّن، وأما السّعادةُ الحقيقية فهي سعادةُ القلب لا سعادةُ البدن، ولن يَسعَدَ القلب إذا كان خاويًا من معرفة الله وذكرِهِ وطاعته، وإذا كان أهلُ المعاصي يَجِدُون وحشةً في قلوبهم! فكَيف بأهْلِ الكفر والإلحاد؟!، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ (طه: ١٢٤).

ولا شكّ أن نِعَمَ الله على العبد لا تُحصَى ولا تُستَقصى، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، وقال: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ (النحل: ٥٣)، لكن لا يُدرِك هذه النِّعمَ ويَستشعِرُها كما ينبغي إلا صاحبُ القلبِ الحيّ.

قال ابنُ القيم: «الدُّنيا مِن أوَّلها إلى آخِرِها لا تُساوى غَمَّ ساعة»[1]

الدُّنيا -مَهْما كُنتَ- لن تَصفُوَ لك!، فحاوِلْ أن تَسعَدَ فيها بقَدْر استطاعتِك، وتَجاوَزِ المنغِّصاتِ والمعكِّرات، ودَعِ التفكيرَ فيها، واجعلها تمُرُّ ولا تستغرقُ غيرَ لحظَتِها فقط!.

١- الفوائد (ص ٤٥).

لقد أطلَقَ السلفُ للرُّوح إشراقَها فعاشُوا في الدنيا حياةَ السعداء، حتى إنّ شيخَ الإسلام ابنَ تيميّةَ يُعبِّر عن هذه السعادةِ التي تَغمُرُه بقوله: «إنّ في الدنيا جَنّةً من لم يدخلها لم يدخل جَنّةَ الآخرة»[١]، وقال غيرُهُ معبّراً عن السعادة التي يتذوَّقُها: «إنّه لَتمُرُّ بالقلب أوقات يرقُص لها طربا فأقول: إن كان أهلُ الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيب»[٢]

وأوضحَ بعضُ السّلف الصالح ممن تذوَّق السعادةَ بأنّهم في نعيمٍ عظيم يستحق المجالدةَ عليه بالسيوف!؛ إذ قال: «لو يعلَمُ الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيمِ والسرور لجَالَدونا عليه بالسيوف».[٣]

ثُمّ قال: تذكَّر أنّ الابتسامةَ لا تكلِّف شيئاً، ولكنّها تعُود بخيرٍ كثير، وهي لا تُفقِر مَن يَمنحُها مع أنّها تُغني آخذيها، ولا تنسَ أنّها لا تستغرق لحظة، ولكنها تبقى ذكرى حلوة إلى آخِر العمر. وليس أحدٌ فقير لا يَملكها، ولا أحدٌ غنيّ مستغنٍ عنها.

ما أشار إليه الكاتب يتوافق مع ما جاء به ديننا، وهذا خلُق أصيلٌ عند أهل الإسلام، مربوط بثواب الله تعالى، لا بالرِّبح المادّي الذي أشار إليه الكاتب، فقد قال مُنقِذ البشرية من الشقاء إلى السعادة ﷺ: «**ولا تزهَد في المعروف ولو منبسطٌ وجهُك إلى أخيك وأنت تُكلِّمه**»[٤]، وقال جريرُ بنُ

١- ذكره عنه تلميذه ابن القيم كما في مدارج السالكين (٢/ ٤٠).
٢- انظر صفة الصفوة (٤/ ٢٨٦)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٥٧).
٣- انظر تاريخ دمشق (٦/ ٢٧٢)، صفة الصفوة (٤/ ١٥٤).
٤- جزءٌ من حديثٍ أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح ١٦٦١٦) عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ.

عبد الله ﵁: «**ما حجبَني رسول الله ﷺ منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلاّ تبسَّم في وجهي**»[1]، فصاحب الابتسامة تجدُه غالباً في سرورٍ وانشراحِ صدر.

ولكنّ العجَبَ أنك تجد بعضَ الناس مُكفَهِرَّ الوجه عبوساً مُصعِّراً خدَّه!، إنّ هذا لا يُؤذي إلا نفسه!، وقد حرَمَها بذلك من المتعة والتّمتُّع في هذه الحياة.



١ - أخرجه البخاري (ح ٣٠٣٥)، ومسلم (ح ٢٤٧٥)، والإمام أحمد في المسند (ح ١٩١٧٣) واللفظ له.



الفصل الثالث

اذكُر الناس بأسمائهم

بيَّنَ فيه أنّ مُناداة الناس بأسمائهم مِن أفضل جوانبِ المخاطبة، وأنّك بتعرُّفك على الشخص وحفظِك لاسمه عندما تقابله تكسِبُ وُدَّه ومحبَّتَه، وأنّ الناس كلَّهُم يُحبُّون أن تُناديهم بأسمائهم، وأن تقدِّرَهم بها، وبيَّن أنّ رجلا في قرية من قرى نيويورك اكتَسَب مكانةً شهيرةً في البيت الأبيض بسبب حفظِهِ لجميع ما يردُهُ من أسماء الناس، وأصبح مديراً لبريد أمريكا، وقد استفاد منه الرئيسُ (روزفلت) في انتخاباته لمعرفته بأسماء الناس، فكان يزورُهم في ولاياتهم ويذكر لهم أسماءَهُم ويتعرَّف على أعمالهم ويعرِفُ مُيولهم السياسية.

ثُمّ قال: والواقعُ أن أحبَّ الأسماء للإنسان هو اسمُه الشخصيّ.

هذا صحيح.. ولقد كان رسول الله ﷺ يُحبُّ الحسَنَ من الأسماء، ويُغيِّر غيرَ الحسَنِ منها.

وكان رسول الله ﷺ يُكنِّي حتى الأطفال، كما قال أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه: «**إن كان النبيّ ﷺ لَيُخالطُنا حتى يقول لأخٍ لي صَغيرٍ يا أبا عُمَيرٍ ما فعَلَ النُّغَيْر؟**».[1]

ونهى اللهُ جلَّ وعلاَ عن التَّنابُز بالألقاب فقال: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ (الحجرات:١١).

وقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: «**ثلاث يُصفين لك مِن ودِّ أخيك: أن تُسلِّم عليه إذا لَقِيتَهُ، وتُوسِّع له في المجلس، وتدعُوه بأحبِّ أسمائه إليه**».[2]

واشتدَّ إنكار رسولِ الله ﷺ على أبي ذر رضي الله عنه لما عيَّر رجلاً بأمه؛ فعنه رضي الله عنه قال: إني سابَبتُ رجُلا فعيَّرتُه بأمِّه، فقال لي النبيُّ ﷺ: «**يا أبا ذر أعيَّرتَهُ بأُمِّه؟! إنّك امرُؤٌ فيك جاهليّة**».[3]



١- أخرجه البخاري (ح ٦١٢٩) واللفظ له، ومسلم (ح ٢١٥٠).
٢- أخرجه البيهقي في الشعب (١٥/ ٢٩٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٢٧٤)، وروي مرفوعا، لكنه لا يَثبت.
٣- أخرجه البخاري (ح ٣٠)، ومسلم (ح ١٦٦١).



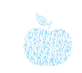
الفصل الرابع

البَراعَةُ في الحديث

بيَّن فيه أنّ الناس لا يُحبّون أن تُزجي الوقتَ في الحديثِ عن نفسك وتَجارِبك وخبراتك ثُمّ تتجاهلَ الآخَرِين ولا تَستمع إليهم؛ فإنّ لهم تَجارِبَ وخبراتٍ وأطروحات.

إن أردتَ أن تَكسِب وُدَّهم وتَظفَر بصداقتهم فأَتِح لهم الفرصةَ ليتحدثوا عن تَجارِبهم، وأحسِنِ الإصغاء والاستماعَ إليهم، وأشعِرْهم باهتمامك بهم.

ما قاله صحيح في الجملة، وبعضُ الناس ابتُلي بالثّرثرة وكثرة الكلام، والحديثِ عن نفسه وإنجازاته وخبراته، ولا يُتيِح مجالاً للآخَرِين في الحديث إما ترفُّعاً، أو محبةً للاستئثار أو حبًّا للظهور!،



وهذا قد جَنَى على نفسه من عدة أوجه: حرَمَ نفسَهُ مِن خبرات الآخَرِين وتَجارِبهم؛ لاستئثارِهِ بالحديث دونهم، واكتسَبَ ازدراءَ الآخَرِين وتهكُّمَهُم به لعدَمِ إتاحة فُرصةِ الحديثِ لهم، وحرَمَ نفسَهُ أيضاً مِن مُجالسة أهلِ الخبرات والطاقات والقُدرات المتميزين؛ لأنّ مثلَ هؤلاء لا يرضَوْن بتضييعِ أوقاتِهم عندَ مَن يستأثر بالمجلس للتحدُّث عن إنجازاتِهِ.

لقد علَّمَنا رسولُ الله ﷺ أدبَ الحديث، واحترامَ الناس في المجالس، وإتاحةَ الفُرصة للمتحدِّث كي يُبدِيَ ما عنده.

بل كان رسولُ الله ﷺ يَصغَى إلى حديث أعدائه!، ويُتيح لهم الفُرصةَ ليتحدَّثوا عما في أنفسهم.

روى جابر بنُ عبد الله رضي الله عنهما قال: اجتمعَتْ قريشٌ يوماً، فقالوا: انظُرُوا أعلَمَكُم بالسِّحر والكِهانة والشِّعر، فليأتِ هذا الرجلَ الذي قد فرَّقَ جماعتَنا، وشتَّتَ أمْرَنا وعاب ديننا، فلْيُكلِّمْه ولينظر ماذا يرُدُّ عليه؟، فقالوا: ما نعلَم أحداً غيرَ عُتبةَ بنِ ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

فأتاه عتبةُ فقال: يا محمَّد أنتَ خيرٌ أم عبدُ الله؟، فسكَتَ رسولُ الله ، فلم يرُدَّ عليه شيئاً، قال: أنتَ خيرٌ أم عبدُ المطلب؟، فسكتَ رسولُ الله ، قال: إن كنتَ تزعُم أنّ هؤلاء خيرٌ منك فقد عَبدوا الآلهةَ التي عِبْتَ!، وإن كُنتَ تزعُم أنّك خيرٌ منهم فتكلَّمْ حتى نَسمعَ قولَك؛ إنا والله ما رأَيْنا سَخْلَةً قطّ أشأَمَ على قومه منكَ، فرَّقْتَ جماعتَنا، وشَتَّتَّ أمْرَنا، وعِبْتَ دينَنا، وفضحتَنا في العرَبِ، لقد طار فيهم أنّ في قريشٍ ساحراً، وأنّ في قريش كاهناً، والله

ما ننتَظرُ إلا مِثلَ صَيحة الحُبلى أن يقومَ بعضُنا إلى بعض بالسيوف حتى نَتفانَى، أيُّها الرجل! إن كان إنّما بك الحاجةُ جمَعْنا لك حتى تكونَ أغنى قُريش، وإن كان إنّما بك الباءةُ فاختَرْ أيَّ نساء قريش شئتَ فلنُزوِّجك عشراً.

فقال رسولُ الله ﷺ: **فرغتَ؟**، قال: نعم، فقال رسولُ الله ﷺ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١٣)، فقال عتبةُ: حسبُك، ما عندَك غيرُ هذا؟ قال: لا.

فرَجَعَ إلى قريش، فقال: ما تركتُ شيئاً أرى أنّكم تُكلِّمونه به إلا كلَّمتُه، قالوا: فهَل أجابَك؟ قال: نعم، لا والذي نَصَبَها بَنِيَّةً ما فهمتُ شيئاً مما قال، غيرَ أنه أنذرَكُم صاعقةً مثلَ صاعقة عادٍ وثمود.(١)



ثُمّ قال: وكثيرٌ من الناس يؤثِّرُ فيهم سؤالُك عن عمَلِه وتخصُّصِه، وإصغاؤك لحديثه، وإظهارُ الاهتمام والإعجابِ بتخصُّصه، حتى ولو لم تكن تعلَمُ عنه شيئا.

ما ذكره من السؤال والإصغاء لحديث المتكلم من مستحسن الآداب،

١- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٢٩٦)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٤٩).

فقد كان رسول الله ﷺ يُثنِي على أصحابه، ويُظهِر بروزهم في الجوانب التي يفوقون بها غيرَهُم، كما قال ﷺ في شأن خالدِ بنِ الوليد رضي الله عنه: «**..حتى أخَذَ الرايةَ سيفٌ مِن سيوف الله حتى فتَح اللهُ عليهم**»[1]، وقال ﷺ أيضاً: «**أرحَمُ أمّتي بأمّتي أبو بكر، وأشدُّهم في دين الله عمر، وأصدقُهم حياءً عثمان، وأقضاهُم عليّ بنُ أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بنُ كعب، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذُ بنُ جبل، وأفرَضُهم زيد بن ثابت، ألا وإنّ لكلِّ أمة أمينًا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدةَ بنُ الجراح**»[2].

وقال كعب بنُ مالك رضي الله عنه -في حديث بيعة العقبة-: «...فخرجنا نسألُ عن رسولِ الله ﷺ، وكنّا لا نعرِفُه؛ لم نَره قبلَ ذلك، فلقِيَنا رجلٌ مِن أهل مَكَّةَ، فسألناه عن رسولِ الله ﷺ، فقال هل تعرفانِهِ؟، قال: قُلنا لا!، قال: فهل تعرفانِ العباسَ بنَ عبد المطلب عمَّهُ؟، قلنا: نعم، قال: وكُنّا نعرِف العبّاس، كان لا يزالُ يَقْدَمُ علينا تاجرًا، قال: فإذا دخلتُما المسجدَ فهو الرَّجُل الجالسُ مع العباس، قال: فدخَلْنا المسجدَ فإذا العباسُ جالسٌ ورسولُ الله ﷺ معه جالسٌ، فسلَّمْنا ثُمّ جلَسْنا إليه، فقال رسولُ الله ﷺ للعباس: **هل تعرِفُ هذينِ الرّجُلين يا أبا الفضل؟**، قال: **نعم**، هذا البراءُ بن مَعْرُور سيِّدُ قومِهِ، وهذا كعبُ بنُ مالك، قال: فوالله ما أنسَى قولَ رسولِ الله ﷺ: **الشاعرُ**؟ قال: **نعم**...».[3]

١- أخرجه البخاري (ح ٣٧٥٧)، عن أنسٍ رضي الله عنه.

٢- أخرجه ابن ماجه (ح ١٥٤) واللفظ له، والترمذي (ح ٣٧٩٠)، والنسائي في الكبرى (ح ٨٢٤٢)، عن أنسٍ رضي الله عنه.

٣- أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح ١٥٧٩٨)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٨٧).



الفصل الخامس

أَدخِل السُّرورَ على قلوب الناس

خلاصةُ الفصل أنه يَنبغي لك أن تحدِّث الناس بما يُحبّون، وأوضح بأنّه كان في صباه يُحِبُّ القوارِب، فزارهم رجلٌ محامٍ، فبدأ يحدِّثُه عن القوارِب وجمالها، قال: فكنتُ أَصغَى إليه بلهْفٍ وفرَح، فلما خرج سألتُ عمّتي عنه، فقالت: هذا رجلٌ محامٍ، قلتُ: لكنّهُ حدَّثني عن القوارب ولم يُحدِّثني عن القانون!، قالت: يُريد أن يُدخِل السُّرورَ عليك.

وختم الفصل بقوله: تكلَّمْ فيما يَسرُّ مُحدِّثَك وتظُنّ أنه يَهتمُّ به.

وهذا كلام جميل، وكان مُعلِّمُ الناسِ الخيرَ رسولُ الله ﷺ قائدَ البشريّة ومربِّيَها، ومع ذلك يُداعِب صبيًّا، ويَسأل عن طائرِهِ! ويُكنِّيه؛ ليُدخِل السُّرورَ عليه!، كما جاءَ عن أنسٍ ﵁: أنّ النبيّ ﷺ كان يأتي أُمَّ سُلَيم

يزورُها، فتُتحِفُه بالشيءِ تَصنعه له، وأخٌ لي صغيرٌ يُكنَي أبا عُمَير، فجاء رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم، فقال: «**يا أُمّ سُليم: ما لي أَرَى ابنَكِ خاثِرَ النّفْس؟**»، قالت يا رسولَ الله ماتتْ صَعْوَتُه التي كانت يلعبُ بها، فجعلَ النبيّ ﷺ يقولُ: «**يا أبا عُمَير ما فعلَ النُّغَير**».[1]

وقد قال ﷺ: «**أفضلُ الأعمال أن تُدخِلَ على أخيك المؤمِنِ سرورًا، أو تَقضيَ عنه دينًا، أو تُطعمَهُ خُبزًا**».[2]



١- أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/ ٥٥٠)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٧٥) واللفظ له، وأصله في الصّحيحين، وقد تقدّم.

٢- أخرجه بهذا اللفظ ابنُ أبي الدنيا في قضاء الحوائج (ص ٨٣)، عن أبي هريرة ﷺ، وحسّنه الألباني في الصحيحة (ح ١٤٩٤).



الفصل السادس

كيف تكون محبوبا؟

ذكر أنك تحبُّ أن يُحبَّك الناس، فأَحِبَّهم أنت، وبَيِّنْ كيفَ يعرِفون منك هذا الحُبَّ؟ امتدِحْهم، اخترْ شيئاً جميلاً فيهم وحدِّثهم عنه، وذكَر الحديثَ منسُوباً إلى جميع الرُّسل والدِّيانات: «أَحِبَّ لأخيكَ ما تُحبّ لنفسك».

وأوَّلُ ما تُحبّ لنفسك هي السَّعادةُ والشعورُ بالرِّضا، فاجعَلِ الآخَرين يُشاركونك فيه.

هذا الحبُّ الذي أشارَ إليه قد جعَلَه النبيّ ﷺ بَيْنَ المسلمين مِن الإيمان فقال: «**لا يُؤمِن أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه**»[1].

١ - أخرجه البخاري (ح ١٣)، ومسلم (ح ٤٥)، عن أنسٍ رضي الله عنه.

وجاءت أحاديثُ كثيرةٌ مفصِّلةٌ لكثيرٍ مِن حقوق المسلم على أخيه ومنها: ردُّ السلام، وإجابةُ الدّعوة، وزِيارةُ المريض، وتَشمِيتُ العاطس، وإِبرارُ المُقسِم، وعدَمُ الخِطبة على خِطبته، أو البيعِ على بيعِهِ، وعدَمُ تَرويعِهِ وإخافتِهِ، والذَّبُّ عن عرضِهِ، وإعانتُهُ في عمَلِهِ والصّناعةُ له، وإكرامُ ضيافتِهِ ... الخ.

وأعظم ما يُحبّ الإنسانُ لنفسه أن يعيشَ سعيداً في الدّنيا والآخرة، فليَعمَلْ على أن يعيشَ الناسُ كذلك.

قال عبدُ الله بن مسعود: «**كنا إذا فقَدنا الأخَ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادة، وإن كان مشغُولاً كانت عوناً، وإن كان غيرَ ذلك كانت زيارة**».[1]

وقد ورد في الحديث: «**الراحمونَ يَرحمُهُم الرحمن**»[2]، ومن أعظمِ الرحمة إخراجُ الناس مِن الشقاء إلى السَّعادة، ومن ظُلْمة الكفر إلى نُور الهداية والإيمان.

وبيَّنَ أنّه لا ينبغي لك أن تتَصوَّر أنّك أرفعُ مِن الناس قَدراً؛ فهَذا في نظرِك أنت لكنه غيرُ صحيح في نظر الآخَرين؛ فكلُّ إنسان يَرى نفسَهُ كذلك وأنّه شمسُ الوجود.

كلامه عن عدم الترفع على الناس صحيح في أمور الدنيا ومنافعها، وأما التواضع الحقيقي فهو خفض الجانب للناس وقَبولُ الحق، وقد قال

١- أخرجه ابن وهب في الجامع (ص ٣٠٨)، والبيهقي في الشعب (١٦/ ٢٠٦).
٢- جزءٌ من حديثٍ أخرجه أبو د اود (ح ٤٩٤١)، والترمذي (ح ١٩٢٤)، والإمام أحمد في المسند (ح٦٤٩٤)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

النبيّ ﷺ: «**لا يدخُل الجنةَ مَن كان في قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ مِن كِبْرٍ**»، فقال رجلٌ: يا رسول الله الرجُلُ يُحبُّ أن يكون ثوبُهُ حسَنًا ونعلُهُ حسَنًا؟!، فقال: «**إنّ الله جميلٌ يُحبُّ الجمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النّاس**».[1] بَطَرُ الحقِّ أي: رَدُّهُ، وغَمْطُ النّاس أي: احتقارُهم.

والتواضع عبادة من أجلِّ العبادات، يمتَنُّ الله به على بعضِ عباده فيرفعُهم به درجاتٍ في الدنيا والآخرة، قال النبيّ ﷺ: «**ومَا تواضَع أحدٌ لله إلاّ رفَعَهُ الله**».[2]

وكلّما كمل العبدُ ازداد تواضُعاً، فقد كان رسولُ الله ﷺ أكمَلَ النّاس تواضُعاً.

وقد كان السلفُ الصالح -رحمهم الله- لا يَرَوْن أنّهُم أفضَلُ مِن غيرِهم، ولا يتباهَوْن بأعمالهم، ولا يَدخُلُ نفوسَهم داءُ العظمة؛ فهذا عمرُ بنُ الخطّاب، كاسِرُ الأكاسرةِ وقاصمُ القياصرةِ يقولُ عن وِلايته وخِلافته: «**وَدِدتُ أني نَجوتُ منها كَفافًا لا لي ولا عَلَيّ**».[3] ويقول: «**ويلٌ لي وويلٌ لأُمّي إن لم يَغفرِ اللهُ لي**».[4]

تواضَعْ تكُن كالنَّجْمِ لاحَ لناظرٍ   علَى صَفَحاتِ الماءِ وهْوَ رَفِيعُ

١- أخرجه مسلم (ح ٩١)، وغيره، عن ابن مسعود رضي الله عنه.
٢- أخرجه مسلم (ح ٢٥٨٨)، والترمذي (ح ٢٠٢٩)، والإمام أحمد في المسند (ح ٩٠٠٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٣- أخرجه البخاري (ح ٧٢١٨)، والإمام أحمد في المسند (ح ٣٢٢).
٤- أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٦١)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥٨٨).

والتواضُع يَجنِي منه صاحبُهُ المعارفَ والمنافعَ؛ فإنّ الكُلّ يستطيعُ أن يَصلَ إليه، بخلافِ التكبُّر المذمومِ؛ فهُو قاطعٌ لصاحبِهِ عنِ الخير وعن الناس.

ثم إنّ المؤلِّف استشهدَ على كسْب الناس بقَصَص مارَسَها بنفسه، أو مارَسَها غيرُهُ، فنَجَحتْ في كسْبهم، وذكَرَ مِن تلك القَصَص أنّه زارَ عجُوزاً طاعنةً في السنِّ فسألها عن بناء بيتِها، وامتَدَح تخطيطَهُ وتنظيمَهُ، فأخذَ هذا بلُبِّها وبيَّنَتْ أنها شارَكتْ زوجَها في بنائه، وأنّ الناس اليومَ لا يعرِفُون قيمةَ مثلِ هذا البنيان المتين، ثُمّ راحتْ تحدِّثُه عن قَصَصِها ونَسِيَتْ أتعابَها ومرَضَها في هذه الأثناء.

نعم إن مخاطبة المرءِ بما يُناسبه ويَأنَسُ به مِن مداخِل النّفس البَشَرية التي أدَّب الإسلامُ أهلَهُ بمُراعاتِها؛ فقد كانَ رسولُ الله ﷺ يُخاطب الصَّغير بما يُناسبه، كقوله للصبيّ: «**مَا فعَلَ النُّغَير؟**»[1]، ويُخاطِبُ الكبيرَ بما يليق به، والأَعرابيَّ بِما يُحبُّه ويَأنَس به.

ولقد رتَّب الإسلامُ على إدخال السُّرورِ والفرَحِ على قلْب المسلم أجرًا، وعَدَّهُ من أفضلِ الأعمال، وحَثَّ على توقيرِ الكبير واحترامِه، والعَطفِ والرحمةِ والحنان على الصّغير، وأَمَر ببرِّ الوالدين.

فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (العنكبوت: ٨)، وقال ﷺ: «**أفضلُ الأعمال أن تُدخِلَ على أخيك المؤمِنِ سرورًا، أو تَقضيَ عنه دينًا،**

١- تقدّمَ تخريجُه في الفصل الثالث.

أو تُطعمَهُ خُبزًا»، وقد تقدّم، وفي الحديث كذلك: «**مَن لم يَرحم صغيِرَنا، ويعرِفْ حقَّ كبيرِنا فليسَ منّا**».[1]

وأوضح أنّه ينبغي أن يَنطلق هذا الإعجابُ بحسَنات الغَير من البيت، الأَوْلى بك أن تَبدأَ مع زَوجتك؛ فهي فردٌ من الناس، وفيها بعضُ المساوئ، لكن لها محاسن، فكم مِن مرَّة أَطرَيتَ جمالها مثلاً، أو حُسْنَ تنسيقِها للبيت، أو حتّى لطفَها وهي تقول لك: صبَاح الخير.

وأوضح أنّ الكلامَ اللّيِّنَ الطيبَ يُؤدِّي في النتيجة مُؤدَّى الكلام الخشن، ولكنّ الأخير يدُقُّ إسفينا في دَرْب السعادة الزّوجية.

وضَرَب لذلك مثالاً: بأنّ زوجَتَك قدَّمَتْ لك لحماً وكأنّه سَيْر من الجلد؛ لعَدَم طهيها جيِّداً!. فأنتَ بين أمرين: إما أنت تقول: يَبدُو أنّ هذا بسبب شُغْلٍ شَغَلَك يا زَوجَتي العَزيزة عن إنضاج اللّحم كالمعتاد، أو تقول: إنّ هذا اللحمَ يَخلَع الأسْنان، أوَتَظُنّيني كَلْباً له أنيابٌ أيّتُها المرأة؟!.

ما ذكره حق، فقد جَعَل رسولُ الله ﷺ خيرَ الناس خيرَهُم لأهله، فقال: «**خيرُكُم خيرُكُم لأهله، وأنا خيرُكُم لأهْلِي**»،[2] وقال ﷺ: «**إنّ أكمَلَ المؤمنِينَ إيمانًا أحسَنُهُم خُلُقًا وألطَفُهُم بأهله**».[3]

١- أخرجه أبو داود (ح ٤٩٤٣) واللفظ له، والترمذي (ح ١٩٢٠)، والإمام أحمد في المسند (ح ٦٧٣٣)، عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما.

٢- أخرجه الترمذي (ح ٣٨٩٥)، عن عائشة، وابنُ ماجه (ح ١٩٧٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣- أخرجه الترمذي (ح ٢٦١٢) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (ح ٩١٥٤)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٤٢٠٤)، عن عائشة رضي الله عنها.



وأرشد رسولُ الله ﷺ المسلمَ إلى أن يَنظُر إلى المرأةِ نظرةً شاملة مِن جميع الزّوايا والجهات، وبيَّن خطَرَ النّظر إليها من زاويةٍ واحدةٍ، فقال: «**لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنة، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رضي منها آخرَ**».[1]

وتقولُ عائشة رضي الله عنها في وصفها لخلُق النبيّ ﷺ في ما يُصنَع له من طعام: «**ما عاب النبيّ ﷺ طعامًا قطّ، إن اشتهاه أكله وإلا تَرَكه**».[2]

وقال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: «**البِرُّ شيءٌ هينٌ: وجه طليقٌ وكلامٌ ليِّن**»[3]



١- أخرجه مسلم (ح ١٤٦٩)، والإمام أحمد في المسند (ح ٨٣٦٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٢- أخرجه البخاري (ح ٣٥٦٣)، ومسلم (ح ٢٠٦٤).
٣- أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (ص ١٨٠)، والبيهقي في الشُّعب (١٤/ ٢١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١١٧).



الجزء الثالث:

اكسب الجدال بأن تتجنبه

الفصل الأول

قال: إن حُبّ الظُّهور في مُعظَم الأحيان هو الدافعُ الأول إلى المجادلة؛ فأنتَ توَدّ أن تَعرِض سَعة اطلاعِك وحُسنَ تنقيبك في الموضوع المطروح للجدَل!، ومثلُ هذا يَحُسُّ به الرجلُ الآخَر الذي تُجادِله، فإذا قهرتَهُ بمنطِقك السَّليم وفُزْتَ عليه فإنّه لن يعتبرَ ذلك إلاّ إهانةً منك، وجَرحًا لكرامته، وهو قلَّما يَغفِر لك ذلك، بهذا تكونُ قد اشتريتَ خصومتَهُ دون نفعٍ يُصيبك مِن الشراء.

وبيَّنَ أثرَ الجدل على الأعصاب فقال: الواقعُ أن الرجلَ الكثير الجدلِ هُو الذي لا يَقوَى على ضبط أعصابه!؛ فيفقِدُ السَّيطرةَ على نفسه حين يَسمعُ رأيًا مُناقضًا لرأيه، أو وِجهةَ نظرٍ بعيدةً عن وجهة نظره.. إنّ

الخصْمَ في الجدال كالكلْبِ العقُور، ومِن الأفضَل أن تُخلِيَ له الطريقَ قبلَ أن يَعَضَّك مِن أن تَقتُله بعد أن يكونَ قد فعَلَ ما فعَلَ، واعلَم أنّ أفضَلَ طريقٍ لكسب الجدال هو عدمُ الوقوع فيه.

ما أشار إليه سليم في الجملة، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ الترغيبُ في ترك الجدَل؛ فقد وَعَدَ النبيّ ﷺ تاركَهُ ببيت في الجنة فقال: «**أنا زعيمٌ ببَيْتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن تَرَك المراءَ وإن كان محقًّا، وَببَيْتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لمن تَرَكَ الكَذِبَ وإن كان مازِحًا، وببَيْتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حَسَّنَ خُلُقَهُ**».[1]

وقد أَخذ السلفُ الصالحُ بهذا، وبيَّنُوا أنّ الجدَلَ يُوغِر الصدور، ويَفصِم الصداقةَ، ويَصنَعُ العداواتِ، ويُضِيع الأوقات.

عنِ ابن وهبٍ قال: سمعتُ مالكَ بنَ أنس يقول: «المراءُ في الدِّين يُعيِي القلبَ ويُورِثُ الضِّغْن».[2]

وجعلوا المراءَ هو الطريقَ المختَصَرَ إلى القطيعةِ وحَلِّ حبالِ الصّداقة؛ قالَ عبدُالله بن الحسن بن الحسن: «المراءُ يُفسِد الصداقةَ القديمة، ويَحُلُّ العُقدةَ الوثيقة، وأقلُّ ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبةُ أمتَنُ أسبابِ القطيعة».[3]

١- أخرجه أبو داود(ح ٤٨٠٠) واللفظ له، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (ح ١٩٩٣)، وابن ماجه (ح٥١)، عن أنس رضي الله عنه.

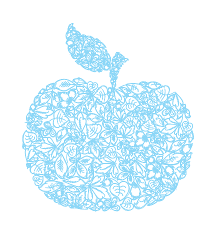
٢- أخرجه الآجري في الشريعة (ص ٩٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٣٠، الكتاب الأول)، وذكَرَ عياضٌ في ترتيب المدارك (١/ ١٧٠) نحوَهُ، وقد ورد عن الإمام الشافعيّ قريبٌ من هذا.

٣- أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٣٠-٥٣١، الكتاب الأول)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٥٩).

وقيل لحاتم الأصمّ: بماذا غلبتَ خصمك؟ قال: «أفرح إذا أصابَ خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أتجهّل عليه».[1]



١- أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٨٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٢).



الفصل الثاني

وَصْفة لخلق العداوة

قال: عندَما تبدأُ كلامَك مع رجلٍ بأن تقول له: «أنت مخطئ» أو «اسمع يا هذا، سأُثبِتُ بُطلانَ ما تقول» أتدري أنّك في تلك اللحظة تعني: (أنك أيّها الرجل بليدٌ! تُعْوِزُك براعتي ويَنقُصك ذكائي!، قف أمامي ذليلاً لأَدُلَّك على الطريق الذي بلغه ذهني المتوقِّد! وحكمَتي الأصيلة)! هذا هُو المعنى بالضبط.. فهل تَقبلُ بأن يُوجَّهَ إليك أحدٌ مثلَ هذا القول؟ كلاّ، طبعاً.. إذن فلماذا تُوجِّهُه إلى الآخرين!.

وختَم الفصل بقوله: فإذا أردتَ أن تجتذِبَ النّاسَ إلى وِجهة نظرِكَ فاحتَرِم آرَاء الغَيْرِ، ولا تَقُل لأحدٍ: أنتَ مُخطئٌ!.

والصَّحيحُ أنّه لا يَقوم العدل ولا تستقيمُ الحياةُ حتّى يُقالَ للمُخطئ:

أخطأتَ، وللمُصِيب: أصبتَ، ويَنبغي اختيارُ الأسلوبِ الحسَن في تبيين الأخطاء.

وكان رسولُ الله ﷺ يقول: «**ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا**»[1]، فلم يُجابِهْهُم في وُجوههم.

وكان ﷺ يأمرُ بالرِّفقِ، وتَرْك العُنفِ والشِّدَّةِ والغِلظة، كقولِه: «**إنّ الله رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلّه**»[2]، وقولِه: «**إنّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زَانَه**».[3]



١- أخرجه مسلم (ح ١٤٠١)، والإمام أحمد في المسند (ح ١٣٥٣٤)، عن أنس رضي الله عنه، وقد تقدَّم.

٢- أخرجه البخاري (ح ٦٠٢٤)، ومسلم (ح ٢١٦٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

٣- جزءٌ من حديثٍ أخرجه مسلم (ح ٢٥٩٤)، وأبو داود (ح ٢٤٧٨)، عن عائشة رضي الله عنها.



الفصل الثالث

سلِّم بالخطأ

إنّ المخالِفَ أو مُقترِفَ الخطأ عامّة سُرعانَ ما يُدرِكُ أنّ الصّوابَ ليْسَ بِجانبِه، وسَيُثبِتُ له الغيرُ ذلكَ آجِلاً أو عاجِلاً، فلِماذا لا يَقطعُ الطَّريقَ علَى الخُصومة؟ ويَعترِفُ بخَطئه؟!، إنّ الاعترافَ بالخطَأ يُزيل التّحامُلَ الّذي يُمكنُ أن يَتولَّد في صَدْرِ الخَصْم أوّلاً، ومِن ثَمّ يُخفِّفُ أثَرَ الخطأ ثانياً.. فحينَ ترى أنّك على خطأ اعمِدْ إلى التّسليم به، وهُوَ كفِيلٌ بأن يَجعَلَ الخَصْمَ يَقِفُ مِنك مَوقِفَ الرَّحِيم السَّرِيع العفْو، وعلى العَكْس مِن ذَلك إذا أَصرَرْتَ على الدِّفاع عن خَطَئِك، وقديماً قيل: «المقِرُّ بذنبه كَمَن لا ذَنبَ له».

وختَمَ الفَصْل بقوله: إنّ مِن الحكمة أن تُسلِّم بالخطأ حِينَ تُخطئ.

وقوله مما يوافق عموم الأدلة، فلما ثَرَّبَ المشركون على الصحابة

انتهاكَ الشَّهْر الحرام بالقِتال فيه بَيَّنَ اللهُ تعالى أنّ هذا من الخطأ، ولكنَّ فِعلَ المشركين أكبرُ مِن ذلك الخطأ، قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

وهذا فرعونُ المجرِمُ الأثيمُ، السّفّاح السّفّاك للدّماء يَلُوم مُوسى عليه السّلام! ويُثرِّب عليه في قتلِهِ للقِبطيّ خطأً!، فيَعترفُ مُوسى عليه السّلام مباشرةً!! ويُخبِره أنّ ذلك مِن الخطأ. قال سُبحانه عن مُوسَى عليه السّلام: ﴿ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الشعراء: ٢٠).

وهذا رسولُ الله ﷺ لما زادَ ركعةً في صلاة العَصْر وسلَّم تَعجَّب منه الصحابة، وقالوا: أَحَدَثَ في الصّلاة شيءٌ؟قال وما ذاك؟، قالوا: صَلَّيتَ كذا وكذا، قال فثَنَى رِجلَيه واستقبَلَ القبلةَ فسَجَد سجدتَين ثُمّ سلَّم، ثُمّ أقبلَ عليهِم بوجهه فقال: «**إنّه لو حَدَثَ في الصّلاةِ شيءٌ أنبأتُكُم به، ولكنْ إنّما أنا بَشَرٌ أنسَى كما تَنسَوْن فإذا نسِيتُ فذكِّروني...**».[1]



١- أخرجه البخاري (ح ٤٠١)، ومسلم (ح ٥٧٢)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.



الفصل الرابع

نعم.. نعم.. يا سُقْراط

ذكر أنّ سُقراط كان دائماً يكسب الجولةَ مع مَن يُحاوِرُهُ؛ لأنّه يَبدأ بالنّقاط التي يَتّفق مع الآخَرِين فيها، ويَتجنَّبُ أن يُوجِّه سُؤالاً يَنتظر أن يكون جوابُه «لا»؛ ذلك لأنّ «لا» عَقبةٌ إذا قالها الخصمُ كان مِن الصعب عليه التنازلُ عنها!، ويَرى أنه يَتعيَّن عليه المحافظةُ عليها!، وسيُصبح جهازُهُ العصبيّ مُتحفِّزًا للمحافظة عليها.

والمتحدِّث اللَّبِق هو الذي ينالُ مِن مُجادِله عددًا مِن «نعم»، أي: الموافقة أوَّلَ الأَمْر.

نعم، ذِكْرُ النّقاط المتفقِ عليها من أسباب كسب الحِوار، والتآلُفِ بيْنَ المتحاوِرَين، سَواءٌ كانتِ الإجابةُ «نعم» أو «لا»، كما حاوَرَ رسولُ الله ﷺ

ذلك الشابَّ الذي جاءَ يستأذِنُه في الزِّنا، فعن أبي أُمامةَ ﷺ قال: «**إنّ فَتًى شابًّا أَتَى النّبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله ائذَن لي بالزِّنا!، فأقبَلَ القَوْم عليه فزَجَرُوه قالوا: مَهْ مَهْ، فقال: ادنُهْ، فدَنَا منه قريبًا، قال: فجلَس، قال: أَتُحبُّه لأُمّك؟ قال: لا والله جعلَني الله فداءَك، قال: ولا الناسُ يُحبُّونه لأُمّهاتِهم، قال: أفَتُحبُّه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسولَ الله جعلَني الله فداءَك، قال: ولا الناسُ يُحبُّونه لبناتهم، قال: أَفَتُحبُّه لأختك؟ قال: لا والله جعلَني الله فداءَك، قال: ولا الناسُ يُحبُّونه لأخواتهم، قال: أفَتُحبُّه لعمَّتِك؟ قال: لا والله جعلَني الله فداءَك، قال: ولا الناسُ يُحبُّونه لعماتِهم، قال: أَفَتُحبُّه لخالتك؟ قال: لا والله جعلَني الله فداءَك، قال: ولا النّاسُ يُحبُّونه لخالاتهم، قال: فوَضَع يدَهُ عليه وقال: اللَّهُمّ اغفِر ذنبَهُ وطَهِّرْ قلبَهُ وحَصِّنْ فرْجَهُ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يَلتفِتُ إلى شيء**».[1]



١- أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح ٢٢٢١١)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٦٣).



الفصل الخامس

كيف تجعلُ الآخَرين يتعاونون معك؟

إنّ من طبيعة الإنسان أن يعتزَّ برأيه، وأن يتَحمَّس لفكرته. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تحاول أن تُجرِّعَ آراءَك لغيرِك.

ثُمّ ذكَرَ مِثالاً على ذلك، وهو أنّ صاحِب مصنعٍ تدَنَّى إنتاجُ العُمال فيه تدنِّياً شديداً فجمَعَهُم وكافأَهُم واعتذَرَ عن تقصيرِهِ معَهُم في السابق، وقال: ماذا أنتظرُ منكُم بعدَ ذلك، فهُنا تَنافَس العُمال وكلّ واحدٍ منهم ذكَرَ له أنه سَيُنتِج في اليوم كذا وكذا.

ومثالٌ آخَر أنّ (رُزفلت) -لما كان مُحافظاً لنيويورك أراد أن يَنتقيَ شخصاً يَشْغَلُ عندَهُ مَنصِباً هامًّا، دون أن يَختلِف معَ أعضاء حزبه، فقَام فدَرَس عددًا مِن الرِّجال البارِزين وعرَفَ إيجابياتِهِم وسَلبيّاتهم، ثُمّ جمَعَ

أعضاءَ الحزب وطلبَ منهم الترشيحَ، فكُلّما ذكَرُوا رجُلاً قالَ فيه ما يَعرِفُ مِن الإيجابيّات والسَّلبيّات، حتّى رشَّحُوا له صاحبَهُ الذي أرَاد فذكَرَ لَهُم إيجابياتِهِ وسَكت عن سَلبيّاته.

الخلاصة: إذا أردتَ أن تكسب رُوحَ التّعاوُن عند الآخَرِين، فاجعَلِ الشَّخْصَ الآخَرَ يُحِسُّ أنّ الفكرةَ فكرتُهُ.

ثُمّ قال: الرجل العاقلُ هو الذي إذا شاء أن يَتصدَّر الناسَ جعَلَ نفسَهُ خلفَهُم، إنّ البحار والأنهار أوْطأُ مِن الوِديان والجداول، ومعَ هذا فهِي تتلقَّى الجزيةَ مِن مياهها.

هذا كلام حسن، فقناعةُ الإنسان بما يَعملُ مِن أعظَمِ حوَافزِ الإنتاجِ والإبداع، قال ابنُ حزم: «اجهَد في أن تستعينَ في أمورك بمن يُريد منها لنفسه مثلَ ما تُريد لنفسك».[1]

وأمَر الله نبيَّه ﷺ -وهُو المسدَّد الذي لا يَنطِق عن الهوى- بالشُّورى، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وهُو درسٌ لأُمّته جميعًا بالبُعد عن الفرديّة والاعتزازِ بالرأي.

إنّ مُشاوَرةَ المدير للعامِلين مَعه تَرفَعُ مِن قدْرِه عندَهُم، ويُضيف أفكارًا إلى أفكاره، ويُصبح يُفكِّر بعُقولٍ مع عَقْله، ويتحَمَّس الجميعُ لرأيه ويَرَوْن أنّه رأيُهُم جَميعًا.

١- الأخلاق والسِّيَر (ص ٢٩).

والمشاورةُ تَزرَع القناعةَ بالقرارِ والتحمُّسَ له؛ فالنّبيّ ﷺ لما شاوَرَ أصحابَهُ في غزوة الأحزاب، أشار عليه سلمانُ الفارسيّ رضي الله عنه بحفر الخندق وقال: «يا رسولَ الله إنّا كُنّا بفارِس إذا حُوصِرنا خَندَقْنا علينا»[1]، فأَمَر النبيُّ ﷺ بحَفْر الخندق فأُنجِز في أسرع وقتٍ وعلى أعلى ما يُمكن من الإتقان، فكان مِن أعظم أسباب دفعِ أذَى الأحزاب عن المدينة.



١- تاريخ الطبري (٢/ ٥٦٦).



الفصل السادس

تفهَّمْ عواطفَ الآخَرين

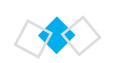
كما يَسُرّك أن يُراعيَ الآخَرون عاطفتَكَ، فإنّه يَسُرّهم أن تَحترِم عواطفَهم بنفس المقدار، وقد يكون الشخصُ الآخَر مخطئاً، لا تَلُمْهُ، تَذرَّعْ بالصّبر وطُول البَال، قُل: تُرَى كيف أتصرَّفُ لو كنتُ مكانَه؟، إذا تساءَلتَ بهذه الروح تكونُ قد كسَبتَ نصفَ الشّوط، ويَبقَى النصفُ الثاني، وفي وُسْعِ عبارة لَبِقَةٍ منك أن تأتي بالعجائب.

ثم ذكَر قصةَ عسكريٍّ مع أطفال يُشعِلُون النّار في الغابة لِطَهْي طعامهم، فوقَف عليهم وأثنى على صَنيعهم ثمّ قال: هُناك كثيرٌ مِن أمثالكم يفعلون ذلك، لكنّ بعضَهم لا يُراعي المصلحةَ العامة.. تصوَّرُوا أنّهم لا يَحرِصون أن يُطفئوا النارَ بعد استخدامها!، وقد تَزيد بعدهم

فتُحرِق جميعَ الأشجار الجافة!، ألاَ تَرَون أنّها أشجارٌ جميلة لا يجوز الإهمال فيها؟.. ففَرِح الصبيانُ وشكروا له لطفَهُ، ووعدوه بحماسٍ أن لا يكونوا مُهمِلين بل يُطفئون النار حالَ الفَرَاغ مِن الطَّهْي.

ما ذكره من احترام عواطف الآخرين له أثر في القبول، ومُعالجة أخطاءِ الناس بشيءٍ من الحلم والأناة تعطي رؤيةً صائبةً للخطأ وتقديرًا لحجمه، واختيارًا للعلاج المناسب له، كما أنّ العجَلَة والتسرُّع كثيرًا ما يكونان سببًا في تَضخِيم الخطأ وتعظيمه، فيترتَّبُ على ذلك التجاوُزُ وتعدِّي الحدودِ في العلاج.

ألا تَرَى إلى ذلك الأعرابي الذي دخل مسجدَ رسولِ الله ﷺ، تلك البقعةَ الطاهرة فحَسَر عن ثيابِهِ وجلَس يَبُول فيه! فأنكر عليه الصحابةُ وزجَرُوه، فقالَ رسول الله ﷺ: «**دعُوه ولا تُزْرِمُوه**» أي: لا تَقطعُوا عليه بَوْلَهُ، وبعدَ أن فرغ ناداه رسول الله ﷺ وقال له: «**إنّ هذه المساجدَ لا تصلُح لشيءٍ مِن هذا البول، ولا القذَر، إنّما هي لذكر الله عزَّ وجلّ، والصلاة، وقراءة القرآن**»[1]، فلو تركهم رسول الله ﷺ لحَصَل بذلك مفاسدُ كثيرةٌ، منها: تنفيرُ الأعرابيّ مِن الإسلام، وتَنجِيسُ بُقعة كبيرة من المسجد عند فزَعِه وقيامه، وتنجيسُ ملابسِهِ ... إلخ.



١- أخرجه البخاري (ح ٦٠٢٥)، ومسلم (ح ٢٨٥) واللفظ له، عن أنس رضي الله عنه.



الفصل السابع

ماذا يُريد الناس؟

مهما بدا الناسُ عُتاةً، قُساةَ القُلُوب، أو غيرَ مَنطقِيِّين فإنّ طبيعتَهُم الإنسانيّة هي التي تَسُودُ آخِرَ الأمر، إنّهم ضُعفاء، إنّهم يَطلُبون التَّعاطُف معَهم، بل والعطف عليهم، فإذا قلتَ لمحدِّثِك: إني لا أوجِّهُ إليك اللَّوْم؛ إذ إنّني سأفعلُ مثلَ ما فعلتَ أنتَ لو كنتُ مكانَك، فإنّ هذا كفيلٌ بضمان انجذابِه إلى جانبك، واستلالِ كلّ حِقْد أو تَصوُّر سيّءٍ كان من الممكن أن يَنشأ بينكما.

ثُمّ ذكَر قَصصاً مُؤدّاها أنّك لكي تستطيعَ أن تتفهَّمَ عواطفَ الآخَرِين وتَعذُرَهم في كثير مِن تصرُّفاتهم فضَعْ نفسَكَ مكانَهُم، فهل تتصَرَّفُ بخِلاَفِ تصرُّفاتِهم، ولا بُدَّ أَثناءَ المقارَنةِ مِن أن تُراعيَ الظَّواهِر



النفسيّة والبيئيّة والدّينيّة لكلّ شخصٍ؛ حتى تُصيبَ في مُقارنتك.

وختَم الفصلَ بقولِه: الناسُ جميعًا ضُعفاء، والكلُّ مِنهم يَشكُو قَساوةَ حظِّهِ، وسُوءَ طالعه، ولهذا فهُو في حاجةٍ إلى العطف.. فلماذا لا تمنَحُهُ إيّاه؟.

إنّك تستطيعُ أن تكسب الناسَ حين تُقدِّر أفكارَهُم وتَتَفَهَّم عواطفَهم.

حقًّا إنّ المربيَ والمعلِّمَ للناس ينبغي له أن يُلاحظ العاداتِ، والتقاليدَ، والمستوى العلميَّ، والحالةَ النفسية للشخص؛ فللبيئة تأثيرٌ بليغٌ على مواقفِ الإنسان وانفعالاتِهِ، فعلى الداعي أو المربي أو المعلِّم أن يَبحثَ عن أنجَحِ الوسائل والسُّبل المعِينة على كسب الناس مراعيًا الأحوالَ السابقة الذّكر.

ألاَ تَرى الرَّجُل العظيم في قومه سُرعانَ ما تكسبه وتَستميلُهُ إلى جانبِك بهديَّةٍ أو عطيَّة، ولهذا شُرِع دفعُ الزكاة للمؤلَّفة قُلوبُهم، وسمّاهم القرآنُ مؤلَّفة لأنّ ما يُعطونَهُ من المال تأليفٌ لقُلوبِهم على الإسلام، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (التوبة: ٦٠).





الفصل الثامن

استَثِر العواطفَ النبيلةَ لدى الآخَرين

بيَّنَ أنّه ما مِن إنسانٍ يَخلُو مِن عاطفةٍ خيرٍ، وخَصلَةٍ حسَنة، فما عليك إلا كشفها وإثارتها عندَهُ، وتوجيهه من خلالها.

واستَشهَد على ذلك بقصةِ لِصٍّ مُحترِف يَسطُو على البُنوك والمصارف بالقوة ثم يُوزِّع ما يَستولي عليه على المحتاجين والفُقراء والفلاّحين في مِنطقته.

وختَم الفَصل بقوله: إنّ استثارة العواطف النبيلةِ في قلوب الآخَرين طريقةٌ ناجحة تماماً في كسب الناس إلى وِجهة نظرك، كما أنّها لن تؤدِّيَ إلى مَضرّة لو قُدِّر لها الفشَل.

وهذا أمْرٌ صحيح؛ فإنّه ليس هناك إنسانٌ لا خيرَ فيه مِن كلّ وجه،

ولهذا شُرِعت دعوةُ الكفّارِ إلى الإسلام، وأُمِر الداعي باستخدامِ الأسلوب الحسَن المناسب للمُخاطَبين استثارةً لعناصرِ الخير وخصالِهِ لديهم، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥).

وشُرِعت استتابةُ المرتدِّين قبلَ إقامةِ الحدّ علَيهم، كلُّ هذا مخاطبةٌ لعُنصر الخير الذي قد اختَبأ عندهم، وطَغَتْ عليه عناصرُ الشرِّ والفساد.

والدّاعي الناجحُ هو الذي يُحاوِل كشفَ القدراتِ والطاقات والصفات الحسنة لدَى النّاس، ويسعى إلى تنميتها وتوظيفها في مجالها المناسب.

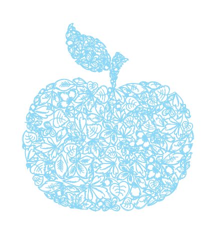
ومهما بلَغ ذنبُ الإنسان وجُرمُهُ فإنّه يُشرَع فَتحُ بابِ الأمَل له ليَرجِع إلى المسار الصحيح، ألا تَرى كيفَ فتح الله تعالى بابَ المغفرة لأُناس عبَدُوا غيرَهُ، وأشرَكُوا الخلقَ معه جلّ وعلا، يقول الله سبحانه: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ (المائدة: ٧٢)، وقال: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ ﴾ (المائدة: ٧٣)، ثُمّ فتَحَ لهم بابَ التَّراجُع فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المائدة: ٧٤).

ومِمّا يدُلّ على هذا قصة الرجل الذي قتل مائة نفسٍ، فعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن نبيّ الله ﷺ قالَ: «**كان فيمَن كان قبلَكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفسًا! فسأل عن أعلمِ أهل الأرضِ، فدُلَّ على راهبٍ فأتاه، فقال إنّه قتلَ تسعةً وتسعين نفسًا فهل له مِن توبة؟ فقال: لا، فقتَلَه فكمَّل به مائة!، ثُمّ سأل عن أعلمِ أهل الأرض، فدُلّ على رجلٍ عالم، فقال إنّه قتَلَ**

مائة نفسٍ فهل له مِن توبة؟ فقال: نعم، ومَن يَحول بينَه وبيْنَ التوبة؟، انطَلِقْ إلى أرضِ كذا وكذا؛ فإنّ بها أُناسًا يعبُدون الله فاعبُدِ الله معهم ولا تَرجِع إلى أرضك؛ فإنّها أرضُ سوءٍ، فانطلَقَ حتى إذا نصَفَ الطريقَ أتاه الموتُ، فاختصَمَتْ فيه ملائكةُ الرّحمة وملائكةُ العذاب، فقالتْ ملائكةُ الرّحمة: جاءَ تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكةُ العذاب: إنّه لم يَعمَل خيرًا قطُّ فأتاه مَلَكٌ في صُورةِ آدميّ، فجعلوه بينَهُم، فقال: قِيسُوا ما بين الأَرْضَيْنِ فإلى أَيَّتِهما كان أدنى فهُو له، فقاسُوهُ فوَجُدُوه أدنَى إلى الأرض التي أراد!، فقبضَتْهُ ملائكةُ الرحمة». [1]



١- أخرجه البخاري (ح ٣٤٧٠)، ومسلم (ح ٢٧٦٦) واللفظ له.



الفصل التاسع

الجأ إلى خلق المنافسة الشريفة

ذكَر أنّ المنافسةَ نوعٌ مِن التحدِّي لكنَّهُ تحدٍّ كريم، والإنسانُ بطبعِهِ ميالٌ إلى التّحدي والرَّدّ، والمنافسةُ حماسة تَشتعل فتزيد من طاقة الفَرْد وتُؤثّر في عطائه، فهل تستطيعُ أن تُوظِّف هذه الطاقةَ في طريق الخير، فتبعَثَ المنافسةَ في نُفُوس الناس فَتُوَجِّهَ طاقاتِهم إلى فِعْل الصالحات.

وختَم الفصلَ بقوله: احرِصْ في تعاملك مع الناس على أن تُثِير فيهم المنافسةَ الشريفة وروحَ التّحدّي.

المنافسة التي ذكرها مما فُطِر الناس عليه، وقد أشَار القُرآن الكريم إلى هذه الفطرة ولكنّهُ وجَّهَها إلى الوجهة السليمة حيثُ النّفعُ والانتفاعُ، فقال تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين: ٢٦)، فبيَّنَ أنّ الأجدَرَ

بالمتنافِسِينَ أن تَعْلُوَ هِممُهم، وأن تَسمُوَ أهدافُهم، وأن تَنبُلَ أخلاقُهم فيتحولَ التنافُسُ إلى فِعْل الخير، وإلى عبادةِ الله وابتغاءِ ما عندَهُ.

وبيَّنَ الله تعالى أنّ أهلَ الإيمان والصّلاح مُسارعتُهم وتنافُسُهم دائماً في فعل الخيرات، وما فيه صلاحُ البشريّة كلِّها، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١).

وأمَرَ الله تعالى أن تُوظَّف تلك الخصلةُ، وأن توجَّهَ هذه الطاقةُ إلى المنافسة في فعل الخيرِ ودفْعِ الشّرّ ونَبْذِه، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ (المائدة: ٤٨).





الجزء الرابع:

كيف تنتقد الآخرين؟

الفصل الأول

كل الناسُ يكرَهون الانتقاد، إلا أنّ الجميع يُخطئ ويَحتاجُ إلى النَّقد والتَّوجيه، وتعديلِ المسار، فكيف نستطيعُ أن ننقُدَ الآخَرِين بلا إثارةٍ لهم؟

فلو قدَّمَ لك طالبٌ خطابًا، أو كتب كلمةً يريد إلقاءَها في حفل أو مجمَع من الناس، وبعدَ قراءتِك لها تبيَّنَ لك أنّها غيرُ صالحةٍ فكيف تتصرَّفُ مع هذا الشابّ؟ هل ترفُضُها فتُحطِّمه! أو تُثني على خطابه، وجمالِ سبكه، وتقول: سأُحاوِل أن تُقدِّمه لو غَيَّرتَ فيه كذا وكذا، وعدَّلتَ فيه مسألةَ كذا؛ فبهذا تكونُ قد امتلكتَ الشابَّ، وكسبت وُدَّه، وحذَّرتَ مِن خطئه. وبيَّنَ أنّ بعضَ الناس يكفيهِ التّلميح دُونَ التصريح.

ما ذكره أسلوب حسن في النقد، وطاقات الناس وقدراتهم ومَفاهيمهُم متباينة، فما يَصلُح لهذا قد لا يصلح لذاك، ولكنّ الجميعَ يكرَهُ المواجهةَ باللّومِ الصّريح، وخاصّة في المجامع العامّة، قال الإمام الشافعيّ[1]:

تَعمّدْني بنُصحِكَ في انفرادي ... وجَنِّبني النَّصيحةَ في الجماعَة
فإنّ النصحَ بَيْنَ الناسِ نوعٌ ... مِن التوبيخِ لا أرضَى استماعَه
وإن خالفتني وعصَيتَ أمري ... فلا تجزَعْ إذا لم تُعْطَ طاعَه

الناس يحتاجون إلى التوجيه السّليم، والنقد البنّاء الهادِف، وتتباين عقُولُهم في سُرعة الفهم وإدراكِ الخطأ، كما قيل:

تكفي اللبيبَ إشارةٌ مَرموزةٌ ... وَسِواهُ يُدعَى بالنِّداء العالي

وهذا الأمرُ هو الغالبُ في النصيحة الناجعة، وتَنِدّ عنه مواقفُ تحتاج إلى المواجهة والصرامة التي ينتج عنها بعضُ الألم، والمصلحة في مثل هذه المواقف أكبرُ مِن مُراعاة ما يَقعُ في النفوس.

إنّ المقصودَ من الانتقاد هو إصلاحُ الشخص معَ ضمانِ عدمِ إثارةِ البغضاء، ولهذا على المنتقِد أن يَلْجأ إلى التّلميح ما وَسِعَهُ ذلك.

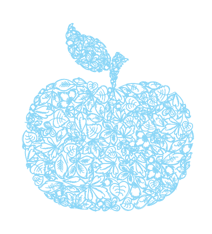
١- كما في ديوانه (ص ٥٦).

ما أورده الكاتب هنا حق، وكان النبيُّ ﷺ يقولُ: «**ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا**».[1]

فلو قدَّم شخصٌ لك خُطبةً لكي يُلقيَها في محَفَل أو في خطبة الجمعة، ووجدتَها طويلةً وغيرَ صالحة لتكون خُطبة! فأمثلُ طريقةٍ أن تقول له: يا أخي الكريم إنّها تَصلُح أن تكون مَقالاً جيّدًا في مجلة كذا وكذا، فهذا تلميحٌ لَبِقٌ، ونَقدٌ مؤدَّب مُؤدّاه أنّ ما كتبته لا يَصلُح أن يكون خُطبة.



١ – أخرجه مسلم (ح ١٤٠١)، والإمام أحمد في المسند (ح ١٣٥٣٤)، عن أنس رضي الله عنه، وقد تقدّم.



الفصل الثاني

تَكلَّمْ عن أخطائِك أوّلاً..
وقدِّمِ اقتراحاتٍ مهذَّبة

إنّ طبيعةَ النّفس تأنَفُ مِن الطّلبِ والأمرِ المباشر أو النّهي المباشر، ولكن لو جاء طلبُك بِصُورةِ اقتراحٍ مُهذَّب لَاستَساغَتْهُ النَّفسُ وتَلقَّته بأَرْيَحِيّة.

وبيَّنَ أنّك حين تُوجِّهُ مَن هو أصغرُ منك مثلاً، فتقول: لمّا كنتُ في سِنِّك كنتُ أقَعُ في خطأ كذا، وأرتَكب خطأً كذا، لكنّ تَجارِبي علّمَتني كيف أتجنَّب مثلَ هذه الأخطاء، فما رأيُك لو فعلتَ كذا على صورة كذا. وبهذا تكون قد حفظتَ ماءَ وجهه.

الصورة التي ذكرها غيرُ مُسَلَّمَةٍ فلا ينبغي أن يتحدث الإنسان عن أخطائه أمام من لا يدرك مغزى ذلك، ولا شكَّ أنّ النفوس ترغَبُ في

الاحترام، وتُحبِّذُ أن تَتلقّى الأوامرَ بصُورة العَرْضِ وما يُشعِر بالتّقدير وإتاحةِ الفُرصة للنّظَر والاختيار.

وكان رسولُ الله ﷺ كثيرًا ما يَستعمل هذا الأسلوبَ مع صحابتِهِ رضي الله عنهم، فقد روى لنا مالكُ بنُ الحويرث رضي الله عنه كيف كان ﷺ يعاملهم، وكان مالك وفَد على رسولِ الله ﷺ ضِمْنَ جماعةٍ من الشّباب مِن قومه، قال: قدِمْنا على النّبيّ ﷺ ونحنُ شَبَبَةٌ، فلبِثنا عندَهُ نحوًا مِن عشرين ليلةً، وكان النبي ﷺ رحيمًا، فقال: «**لو رجعتُم إلى بلادِكُم فعَلَّمتُمُوهم، مُرُوهم فَلْيُصلُّوا صلاةَ كذا في حينِ كذا، وصلاةَ كذا في حينِ كذا، وإذا حضَرَتِ الصلاةُ فليُؤذِّن لكم أحدُكم، ولْيؤمَّكُم أكبرُكم**».[1]

وقال ﷺ مَرّةً لعبد الله بن عُمر رضي الله عنهما: «**لو تركْنا هذا البابَ للنساء**»[2] وهذا الأسلوبُ الطلَبيّ بصورة العَرْض لا يُحصَى كثرةً عن النبيّ ﷺ.

وبنفس الأسلوب كان الصحابةُ رضي الله عنهم يعاملون رسول الله ﷺ، فعَن أنسِ بن مالك قال: قال عُمر بنُ الخطاب رضي الله عنه: وافقتُ ربّي في ثلاث؛ فقلتُ: يا رسولَ الله لو اتَّخذْنا مِن مَقام إبراهيمَ مُصلّى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥)، وآيةُ الحجاب قلتُ: يا رسولَ الله لو أمَرْتَ نساءَك أن يَحتجِبْنَ فإنّه يُكلِّمُهُنّ البَرُّ والفاجِرُ، فنزلَت آيةُ الحجاب، واجتمَع نساءُ النبيّ ﷺ في الغَيْرة عليه فقُلتُ لهنّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ (التحريم: ٥) فنزلت هذه الآية».[3]

١- أخرجه البخاري (ح ٦٨٥) واللفظ له، ومسلم (ح ٦٧٤).
٢- أخرجه أبو داود (ح ٤٦٢)، والطبراني في الأوسط (١/ ٣٠٣).
٣- أخرجه البخاري (ح ٤٠٢)، عن أنس رضي الله عنه، ومسلم (ح ٢٣٩٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن عبد الله بن أبي قتادةَ عن أبيه ﵁ قال: «**سِرْنا معَ النبيّ ﷺ ليلةً، فقال بعضُ القوم: لو عرّسْتَ بنا يا رسول الله، قال: أخافُ أن تنامُوا عَن الصّلاة، قال بلال: أنا أوقِظُكم، فاضطَجَعُوا وأسندَ بلالٌ ظهرَهُ إلى راحلته، فغلَبَتْهُ عيناه فنامَ، فاستيقَظَ النبيّ ﷺ وقد طلَعَ حاجبُ الشّمس فقالَ: يا بلال أينَ ما قلت؟ قال: ما أُلقِيَتْ علي نومةٌ مثلُها قطّ، قال: إنّ الله قبَضَ أرواحَكُم حينَ شاءَ وردَّها عليكم حينَ شاء، يا بلالُ قم فأذِّن بالناس بالصلاة، فتوضأَ فلما ارتفعتِ الشّمس وابْياضَّتْ قام فصلّى**».[1]

وهذا أنجحُ أسلوبٍ في الطلب، واستَمِع كيف أنّ ربَّ العالمين يُخاطِب عبادَهُ الضُّعَفاء المساكينَ وهم وما يَملكُون في قَبضته، وتحتَ تصرُّفِهِ ومشيئته، ومعَ ذلك يقول لهم: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (التحريم: ٥)، قالَ ابنُ القيم: «...فصدَّرَ سبحانه الآيَةَ بألطفِ أنواعِ الخطاب، وهُو الاستفهام المتضمِّنُ لمعنى الطلَب، وهُو أبلَغُ في الطلب مِن صيغة الأمر، والمعنى: هل أحدٌ يَبذُل هذا القرْضَ الحسَن، فيُجازَى عليه أضعافًا مضاعفة؟، وسَمَّى ذلك الإنفاقَ قرضًا حسنًا حثًّا للنُّفوس، وبَعثاً لها على البذل...».[2]

فإذا كان الربُّ الخالق الباري العظيمُ المتعالِ يُخاطِب عبادَهُ بهذا الأسلوب، فهل لأحدٍ بعد هذا أن يَترَفّع عن أن يُخاطِبَ الناسَ بالخطاب الليِّن؟.

١- أخرجه البخاري (ح ٥٩٥).
٢- طريق الهجرتين (ص ٣٣٨-٣٣٩).



الفصل الثالث

بالتشجيع تُحفِّز الناسَ إلى النّجاح

إنّ عبارةً واحدة، أو حتى كلمة واحدة مفعمة بالعطف والحنان والتشجيع، ربّما تُغيِّرُ مَجرَى حياة إنسانٍ فتدفعُه إلى النجاح.

فلا تَبخلْ على الغَير بالتّشجيع كما أنّك تَنتظِر التشجيعَ من غيرك.. ذلك أنّ التشجيعَ لا يَضُرّ إن لم يَنفع، بل إنّ نفعَهُ مضمونٌ في أكثرِ الأحيان، وبه تُحفِّز الآخَرين إلى النجاح.

ومِن باب التشجيع أن تمنَحَ الإنسانَ اسمًا جميلاً.

ومن باب التشجيع الحافزِ أن تجعَلَ الغلطةَ التي يأتيها الغيرُ تبدو بسيطة ميسورةَ التصحيح، فحينَ ذاك تكون فعلاً قد ساعدتَ صاحبَها على إصلاحها، وبخلاف ذلك إذا جعلتَ غلطتَهُ تبدو جسيمةً أو ذاتَ

عواقبَ مُريعةٍ في عينيه؛ إنّك بذلك تُحطِّم أيَّ استعدادٍ طبيعيٍّ لديه في أن يُحسِّن نفسه، ويُصحِّحَ خطأَه.

ما ذكره جميل، واقرأ قصّةَ الرَّجلِ الذي جاء إلى رسولِ الله ﷺ، وذكَر له خطأه وطلَب منه أن يُقيم عليه الحدّ: فعن شدّاد بنِ عبد الله قال: سمعتُ أبا أُمامةَ يقول: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ وهو في المسجد فقال: يا رسولَ الله إنّي أصبتُ حدًّا فأقِمْهُ عليَّ، قال: فسكتَ النبيّ ﷺ ثُمّ عاد فقال له مَرّة أُخرى، ثُمّ أُقيمتِ الصلاةُ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ ثُمّ انصرَف، قال أبو أُمامة: فاتَّبعَهُ الرّجلُ، قال، وتَبعتُه، وفي رواية: فانصرفتُ مع النبيّ ﷺ والرجلُ يَتبعُه لأَعلَمَ ما يقولُ له، قال: فقالَ له الرجلُ: يا رسولَ الله إنّي أَصبتُ حدًّا فأَقِمْهُ عليّ، قال: فقال له النبيّ ﷺ: «**أليسَ قد توضّأتَ قبلَ أن تَخرُجَ مِن منزلك فأحسنتَ الوضوء ثُمّ صلَّيتَ معَنا؟**»، قال: بلَى، قال: «**فإنّ الله قد غفَر لك حدَّك أو ذنبك**».[1]

ولقد قدِم أعرابيٌّ على النبيّ ﷺ، وصلّى معه فتحدّث في الصلاة، فأنكر الناسُ عليه وهم في صلاتهم، فخاف ورُعِب وخَشِي على نفسه، فلما انتهتِ الصلاةُ دعاه الرّسول ﷺ فبيَّنَ له بألطفِ أسلوبٍ وأرقِّ عبارةٍ ما يَنبغي له عملُه في الصلاة، فانشرَحَ صدرُ الأعرابي، مما جعلَهُ يطمَع أكثرَ في النبيّ ﷺ، ويطرَحُ له بعضَ مُشكلاتِهِ الخاصّة.

عن معاويةَ بنِ الحكَم السُّلَميّ ﷺ قال: بَيْنا أنا أُصلِّي مع رسول الله ﷺ إذ عطَس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحَمُك الله، فرَماني القومُ بأبصارِهم

١- أخرجه مسلم (ح ٢٧٦٥)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٢٢٦٦).

فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّياهْ! ما شأنُكُم تنظرون إليَّ؟، فجعَلوا يَضرِبون بأيديهم علَى أفخاذهم، فلما رأيتُهُم يُصمِّتُونَني لكنِّي سَكَتّ، فلما صلّى رسولُ الله ﷺ فبِأبي هو وأُمّي ما رأيتُ مُعلِّمًا قبلَهُ ولا بعدَهُ أحسنَ تعليمًا منه!، فوَالله ما كهَرَني ولا ضَرَبني ولا شَتَمَني، قال: «**إنّ هذه الصلاةَ لا يَصلُح فيها شيءٌ مِن كلام الناس، إنّما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءة القُرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسولَ الله إني حديثُ عهدٍ بجاهليّة، وقد جاء الله بالإسلام، وإنّ مِنّا رجالاً يأتون الكُهّان، قال: «**فلا تأتِهم**»، قال: ومِنّا رجالٌ يَتطيَّرون، قال: «**ذاك شيءٌ يجدونَهُ في صُدورهم فلا يَصُدَّنّهم**»، وفي لفظ: «**فلا يصُدَّنّكُم**»، قال: قلتُ: ومنا رجالٌ يَخُطُّون، قال: «**كان نبيّ مِن الأنبياء يَخُطّ، فمَن وافَقَ خَطَّهُ فذاك**»، قال: وكانت لي جاريةٌ ترعَى غنمًا لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانِيَّةِ، فاطَّلَعْتُ ذاتَ يوم فإذا الذِّيبُ قد ذهب بشاةٍ مِن غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم آسَفُ كما يأْسَفُون لكنّي صكَكتُها صكَّة، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ **فعَظَّمَ ذلك عليَّ**، قلتُ: يا رسولَ الله أفلا أُعتِقُها؟ قال: «**ائْتِني بها**»، فأتيته بها فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**مَن أنا؟**» قالت: أنتَ رسولُ الله، قال: «**أَعتِقْها فإنّها مُؤمِنة**».(١)

ولكنّ هذه الأساليبَ غيرُ مسلَّمة دائمًا؛ فإنّ الأخطاءَ تَختلِف، فإذا أخطأَ أحدٌ في مَجال العقيدة فإنّ النبيّ ﷺ كانَ يَشُدّ عليه حتى يُنبِّهَه إلى خطورة الشأن.

---

١ – أخرجه مسلم (ح ٥٣٧).

عن عِمرانَ بنِ حُصَين ﵄ أنّ النبيّ ﷺ أبصَرَ على عَضُد رجلٍ حَلْقةً أُرَاهُ قال: مِن صُفْر، فقال: «**ويْحَك ما هذه؟**»، قال: مِن الواهنة، قال: «**أمَا إنّها لا تَزيدُك إلا وَهْنًا، انبِذْها عنك؛ فإنّك لو مِتّ وهي عليك ما أَفلَحْتَ أبدا**»[١].

ولما اختَلف بعضُ الصّحابة ﵃، وخاضُوا في أُمُورٍ لا تَعنيهم غَضِبَ رسولُ الله ﷺ، وشدَّد النَّكِيرَ عليهم، فعَن عَمْرو بنِ شُعَيب عن أبيهِ عن جَدِّه قال: خرَجَ رسولُ الله ﷺ على أصحابه وهم يَختصمون في القَدَر، فكأنّما يُفقأُ في وجهه حَبُّ الرُّمان مِن الغضب!، فقال: «**بهذا أُمِرتُم؟**» أو «**لهذا خُلقتم؟ تَضرِبون القرآنَ بعضَهُ ببعض؟ بِهذا هلكَتِ الأممُ قبلَكُم**»، قال: فقال عبدالله بن عمرو: ما غَبَطتُ نفسي بمَجلسٍ تَخَلَّفتُ فيه عن رسول الله ﷺ ما غَبَطتُ نفسي بذلك المجلِسِ وتَخلُّفِي عنه.[٢]



١- أخرجه ابن ماجه (ح ٣٥٣١)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٠٠٠٠)، وحسن إسناده البوصيري في الزوائد (٣/ ١٤٠).

٢- أخرجه ابن ماجه (ح ٨٥)، والإمام أحمد في المسند (ح ٦٦٦٨).



الفصل الرابع

اجعلِ الشّخصَ الآخَر يحب ما تُريد منه:

ذكَرَ قصّة مُلخّصها: أنّ الرّئيسَ الأمرِيكيّ أراد أن يُرسل مبعوثًا مِن قِبَلِهِ إلى قادة الحرب العالمية، وكان الأصلُ أن يُرسل وزيرَ الخارجية الذي يَتطلَّعُ إلى هذه المهمة، ولكنّه وقَعَ اختيارُه على رجل آخَر، فكيف تَخَلَّصَ مِن وَزير الخارجية دونَ أن يُؤَثِّر في نفسه، بل يَقُوم بدَعْم مَبعوثِ الرّئيس! لقد قال له: إنّ الرئيسَ لا يُريد أن يَبعثَ شخصيّةً رسميّةً كبيرة؛ كي لا يَلفِتَ الأنظار، وأنتَ في مَنصِب رفيع! فقَبِلَ الوزيرُ هذا التّخلُّص، وأعان المبعوث.

ثم عقَّب على القصة قائلاً: فهل ترَى يَتِمّ ذلك لولا هذه الطريقةُ التي حَبَّبتْ وزيرَ الخارجيّة في خِدمة رئيسِهِ وإكبارِ مَنصِبه هو؟.

فإذا أردتَ أن يَنقادَ لك الناسُ فحَبِّبْ إليهم العملَ الذي تَقتَرِحُه عليهم.

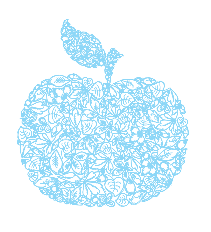
هذه الفكرةُ تقدَّمتْ في فصلٍ سابق، ومُؤدّاها حَسَنٌ ومُؤثِّر، وهو جعلُ الشّخص الآخَرِ يُحِبُّ العملَ الذي تَطلُبُه منه فيُنجزُه بسُرعة وإتْقان.

وذلك باختيارِ العبارات المناسبة، وإبرازِ الآثار الحسنة المترتبة على هذا العمل، بلا حاجةٍ إلى استِخدام أُسْلوب الكَذِب والتحايُل كما فَعل الرّئيسُ في المثال المذكور آنفا.

ونُصُوص الشَّرْع مليئةٌ بهذه المحفِّزات والمرغِّبات والأَساليب، ومن ذلك:

أنّ رسول الله ﷺ لما أراد في مَعركة بدر أن يتقدَّم الناسُ إلى العدو بشجاعةٍ وإقدام رغَّبَهم في الجنة، عن أنس قال: «...فدَنا المشركون فقال رسولُ الله ﷺ: «**قومُوا إلى جَنّة عرضُها السّماواتُ والأرضُ**»، قال: يقول عُمَير بن الحِمام الأنصاريّ: يا رسولَ الله جَنّة عرضُها السّموات والأرض؟ قال: «**نَعَم**»، قال: بَخٍ بَخٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما يَحملُك على قولك: بَخٍ بَخٍ؟**» قال: لا والله يا رسولَ الله إلاّ رجاءَ أن أكونَ مِن أهلِها، قال: فإنّك مِن أهلها، فأَخرَج تَمَراتٍ مِن قَرنِهِ فجَعَل يَأكُلُ مِنهُنّ، ثُمّ قال: لَئن أنا حَيِيتُ حتى آكُلَ تَمَراتي هذه إنّها لَحَياةٌ طويلة، قال: فرَمَى بما كان معه مِن التَّمْر ثم قاتلَهُم حتى قُتِل».[1]

١- أخرجه مسلم (ح ١٩٠١).



الجزء الخامس:

السعادة الزوجية

الفصل الأول

من أسباب السعادة الزوجية: البُعْدُ عن تَنكيدِ الرَّجل بمِثل شدَّة غَيرة المرأةِ عليه خشيةَ أن يَتزوَّج عليها، فتَبقَى مُراقِبة ومتجسسةً عليه في كل خلوة يخلوها، أو خَرجة يَخرُجها، أو مهاتفةٍ، أو سفرة..

هذا جيد، فشِدّةُ غَيرة المرأة مما يُؤذي الرَّجل، وقد تكون سببًا إلى طلاقها، فعلى الزّوجة أن تُراعيَ حُقوق الزّوج، وتَتحمّلَ أفعالَهُ التي أباحَها الشرعُ له مِن الزواج وغيرِهِ، فحقُّه عليها مُقدَّم على حق والدَيْها، وأعظمُ من حَقِّهما، فعَن أبي هُريرةَ ﵁ عنِ النبيّ ﷺ قال: «**لو كنتُ آمِرًا أحَدًا أن يَسجُدَ لأحَدٍ لأمَرْتُ المرأةَ أن تَسجُدَ لزَوجها**»[1]، كما قدَّمَه الشرعُ

1 - أخرجه أبو داود (ح ٢١٤٠)، والترمذي (ح ١١٥٩)، وابن ماجه (ح ١٨٥٣).

على نوافلِ العبادات، فنَهَى المرأةَ أن تَصوم وزوجُها شاهد إلا بإذنه، وأمَر بحُسْن المعاشرة بينَهُما، ولم يُغفِل ما يُمكن أن يَحدُثَ مِن اختلافِ وِجْهات النظَر مما قد يَستثمِرُه الشيطانُ في بثِّ الشِّقاق والفِراق بينهما، فأمَر باحتواءِ الخلاف، والنظرة التَّكامُليّة الشاملة، وبَيَّن أنّ التّمتع بَينهما لا بُدّ أن يكون فيه خَلَلٌ فعَلى الجميعِ التّحمُّلُ والصّبر.





الفصل الثاني

ما هو أساسُ النّكَد؟

إنّ النكَد هو أقصَرُ الطُّرُق المسبِّبةِ للتَّعاسة الزَّوجية، ولكنْ ما هو أساسُ النّكد؟ إنّه نَقْدُ الزّوجةِ زوجَها، أو نقدُ الزّوج زوجتَه.

والمقصودُ مِن ذلك هو أُسلُوبُ تقديمِ النّقدِ؛ إذ هو الهادمُ الأكبر لِقِيمتِهِ، ولكنْ إذا جاء النقْدُ بلُطْفٍ ولباقةٍ وبلا إثارَةٍ للمشاعِرِ فإنّ مِثلَ هذا النقدِ البنَّاء هُو سبيلُ البِنَاء، والزّوجةُ أحوَجُ مِن الآخَرين لأسلوبِك النَّقدي البارِع الهادي اللّطيف الجميل.

إنّ النقدَ على لسانِ أحَدِ الزَّوجين سَهْمٌ قاتِلٌ للسَّعادة الزَّوجيَّة إذا تكرَّرَ وانعدَمَتْ فيه اللّباقة، فلا تَنتقد نقدًا عقيمًا يَكسِرِ القَلْبَ، ويُذِلّ النّفْس.



لا شكّ أنّ للكلماتِ الحادّةِ والعباراتِ العنيفةِ والألفاظِ غيرِ الموزونةِ صَدَىً يَترَدَّدُ باستمرارٍ حتّى بعْدَ انتهاءِ الخِلاَفِ، عَلاوةً على الصَّدمات والجُرُوح العاطفيَّة التي تَتراكَمُ في النُّفُوس.

ويَنبغِي للرَّجُلِ الصَّبرُ على الطبائعِ المتأصِّلة في المرأةِ، مثل الغَيرة، كما قال ﷺ: «**غارتْ أُمُّكُم**»[1]، ولْيكُن لنا في رسولِ الله ﷺ أسوةٌ حسنة في تقدير الظروف والأحوال، ومعرفةِ طبائع النّفوس وما لا يُمكنُ التّغلُّبُ عليه.

عن أَنَسٍ قال: كان النبيّ ﷺ عندَ بعضِ نسائِهِ فأرسلت إحدى أُمّهات المؤمنينَ بصَحفةٍ فيها طَعام، فضَربتِ التي النبيُّ ﷺ في بيتها يدَ الخادمِ فسقطَتْ الصَّحفةُ، فانفلقتْ! فجمَعَ النبيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحفةِ ثم جعل يجمَعُ فيها الطعامَ الذي كان في الصَّحفةِ ويقول: «**غارتْ أُمُّكُم**»، ثمّ حبَسَ الخادِمَ حتّى أُتِيَ بصَحفةٍ من عند التي هو في بيتها، فدَفَع الصّحفةَ الصحيحةَ إلى التي كُسِرتْ صحفتُها، وأمسك المكسورةَ في بيت التي كسَرَتْ، وفي لفظ النسائيّ قال: «**كُلُوا غارتْ أُمُّكُم**».

انظر كيف عالج النبيّ ﷺ هذا الخطأَ بلا تعنيفٍ أو تقريعٍ أو تقبيحٍ أو توبيخ.

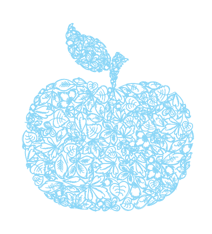
لذا يجب على المرء تقديرُ حَجْم الخطأ وعدمُ تضخيمه، وأن يُعالجه بقَدْرِه ولا يَزيدَ عليه، فلا يتعدَّى الحُدودَ المشروعة.

١- جزءٌ من الحديث التالي، وهو حديثٌ أخرجه البخاري (ح ٥٢٢٥)، وغيره، عن أنس رضي الله عنه، وقد تقدّم.

وعن أبي عبد الله الجَدَليّ قال: سألتُ عائشةَ عن خلُقِ رسولِ الله ﷺ فقالتْ: «لم يكُن فاحشًا، ولا مُتفحِّشًا، ولا صَخّابًا في الأسواق، ولا يَجزِي بالسيئة السيئةَ ولكن يَعفُو ويَصفَح».[1]



١- أخرجه الترمذي (ح ٢٠١٦)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٥٤١٧).



الفصل الثالث

دَعِ الحُبّ يُورِق

مَعنى كلامِهِ في هذا الفصل أنّه يَنبغِي حتى تستبْقِيَ السعادة مع زوجتك أن تُعايِشَها على سَجيَّتِها وبَسَاطتِها، وأن تَستَثمِرَ ما فيها مِن خِصالٍ تُعِينك وتُريحك في حياتِك، بِغَضِّ النّظَر عن الصِّفات السَّيِّئة، فقد تَجدُها بَسيطة في تفكيرها، بَسيطةً في تَنظيمِها للبيت، لا تُجِيدُ الطّبخ...، لكنَّها حَاذقةٌ في استقبال زَوجِها، مُصغيَةً لحديثِهِ مُتطلِّعة لأخباره.

ثم قال: دع شريكَ حياتِك ينطلقُ على سجيَّتِه.

هذه عبارات جميلة، ولقد أشار الرسولُ ﷺ إلى أمرٍ أعظمَ مِن هذا، وهو أنّ على المرءِ أن ينظُرَ إلى زَوجتِهِ مِن جميعِ الجوانِب ولا يَأخُذَها بصفة واحدة بل يجمَعَ جميعَ الصفات.



قال ﷺ: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنة، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رضي منها آخرَ».[1]



١ - أخرجه مسلم (ح ١٤٦٩)، والإمام أحمد في المسند (ح ٨٣٦٣)، عن أبي هريرة ﵁. وقد تقدّم.



الفصل الرابع

امنَحِ السّعادةَ لكُلِّ إنسان

أشار المؤلفُ إلى أنّ مِن طبيعة المرأة اهتمامَهَا البالِغَ بالملابِس والزِّينة، وحِرصَها الشّديدَ على أن تسمَعَ مِن الآخَرين مَن يُثني على هِندامِها ومَلابِسها، كما أنّ مِن طبيعَتها مَحَبَّةَ الثناء على عمَلِها، فهِي تُحبِّذ الثَّناءَ على طَهيِها للطّعام وتَرتيبِها للمَنزِل، وقد يَرَى الزّوجُ في نفسه أنّه لا داعيَ إلى أن يقول لها: إنّ طَهيَك اليومَ جيِّد وطعمُهُ لذيذ، ولباسُك أنيقٌ وجميل. إنّها كلماتٌ لا تُكلِّفُ شيئاً ولكنها تَعني شيئًا عظيًما لدَى المرأة. فلماذا لا تَمنح زوجتَكَ هذه الفَرحةَ والسّعادةَ؟.

هذا كلام جيد، فالسعي لمنح الناس السعادة مطلب شرعي وخاصة الأقربون منهم كالزوجة.

قال الله عز وجل: ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ (البقرة: ٨٣)، ومِن أَحَقِّ النّاس بِهذا القَوْل الحسَنِ الزّوجة.

وقال النبيّ ﷺ: «...**ومَن صَنَع إليكم معروفا فكافِئوه، فإن لم تجِدوا ما تُكافِئونه فادْعُوا له حتى ترَوا أنّكم قد كافَأْتُموه**»[١]، والثناءُ على ما تَقُوم به الزوجةُ لزوجِها -مِن تجمُّلٍ وطَبْخٍ وحُسْنِ ترتيبٍ للمنزل- مِن المكافأةِ المأمُورِ بها في الحديث.

ماذا يُكلِّفُك أيُّها الزَّوجُ إذا قُلتَ لزوجتك: مَا أجمَلَ هِندامَك اليوم!؟، أو مَا أحسَنَ طهيَكِ للطّعام!، أو مَا أجمَلَ ترتيبَ المنزِل!؟.

لقد جَعَل الإسلامُ مُلاطَفَةَ الزّوجَةِ مِن الإيمان، فعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنّ مِن أكمَلِ المؤمنينَ إيمانًا أحسَنَهُم خُلُقًا وألطفَهُم**»[٢]، وقال ﷺ: «**خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي**».[٣]



١- جزءٌ من حديثٍ أخرجه أبو داود (ح ١٦٧٢)، والنّسائي في الكبرى (ح ٢٣٤٨)، والإمام أحمد في المسند (ح ٥٣٦٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٢- أخرجه الترمذي (ح ٢٦١٢)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٤٢٠٤) واللفظ له.

٣- أخرجه الترمذي (ح ٣٨٩٥)، وغيره عن عائشة رضي الله عنها.



الفصل الخامس

الزُّهور لغةُ الحُبّ

إنّ تقديمَك باقةَ زَهْرٍ -وهي تُباع في كُلّ شارعٍ وأرخَصُ مِن كلّ سلعة- لزوجتِك تَعني الشَّيءَ الكثير، ولكنّك حِين ترَى نُدرَةَ حَمْلِ الرجال لهذه الباقة تَتصوَّرُ أنّها مِن أفْدَحِ الأشياءِ ثَمنًا وأصعَبِها منالاً.

ذُكِر عن أحد القُضاة في أمريكا والذي فَصَلَ في أربعينَ ألفَ حالةِ طلاقٍ أنّه قال: إنّ التّوافِهَ غالبًا ما تكونُ هي سبَبُ كلِّ شقاءٍ بيْنَ زَوجَين، ثُمّ ضَرَب لذلك مثلاً فقال: إنّ إغفالَ المرأةِ عبارةَ (مع السلامة) لزَوْجِها وهُو خارِجٌ مُنصرِفًا إلى عمَلِه، إنّه شيءٌ تافِهٌ، ولكنّه كثيرًا ما أدّى إلى الطّلاق.

الواقع يشهد لما ذكره، فبعض الأمور اليسيرة تؤدي إلى زيادة المودة والألفة بين الزوجين.

لقد جعَلَ الإسلامُ المرأةَ سَكَنًا للرجُل يَجِدُ عندَها المودَّة والحنانَ والرّاحة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم: ٢١).

وأكَّد على حُسْن الملاقاة بينَ المسلمين، وفي الحديث: «**ولا تحقِرنَّ شيئًا مِن المعرُوفِ، وأن تُكلِّمَ أخاك وأنت مُنبَسِطٌ إليه وجهُكَ إنّ ذلك من المعروف...**».[١]

فإذا كان هذا الأدبُ الرفيع، وهذا الخلُق الحسَنُ بيْنَ المسلِمِ وأخيه فبَيْنَ الزّوجَيْنِ مِن باب أوْلَى؛ فالنّبيّ ﷺ قال: «**خيرُكُم خيْرُكُم لأهلِه، وأنا خيْرُكم لأهلي**».[٢]

والهديّةُ مِن أقرَبِ الطُّرُق لكسب القُلوب، فكيف إذا كانت بيْنَ الزَّوجَين؟!، قال رسولُ الله ﷺ: «**تَهادَوا تَحابُّوا**».[٣]



١- جزءٌ من حديثٍ أخرجه أبو داود (ح ٤٠٨٤) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (ح ٩٦٩١)، والإمام أحمد في المسند (ح ٢٠٦٣٦)، عن أبي جُرَيّ جابر بن سُلَيم ﷺ، وقد تقدّم.

٢- أخرجه الترمذي (ح ٣٨٩٥)، عن عائشة ﵂، وابن ماجه (ح ١٩٧٧) واللفظ له، عن ابن عباس ﵄.

٣- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح ٥٩٤) وحسنه الألباني والبيهقي في السنن (٦/ ١٦٩)، عن أبي هريرة ﵁.



الفصل السادس

الدَّماثَةُ لا بُدَّ منها

أشارَ المؤلّفُ إلى أهميَّةِ اللّطافة واللَّباقةِ بيْنَ الزّوجَيْن، وبيَّنَ أنّ قَوارِصَ الكَلِمِ هي التي تَهدِمُ السّعادةَ، وتُفرِّقُ الأُسرَة.

هذا صحيح، فماذا يَخسَرُ الزّوجانِ لو أبدَلا الكَلامَ الغليظَ بكلامٍ رَقيقٍ لطيفٍ جَمِيل؟، إنّ المَخرَجَ واحدٌ، لكنّ النتيجةَ مُتبايِنة تَبايُنًا عَظيمًا.

لقد كان رسولُ الله ﷺ يُراعِي نفسيَّةَ الزّوجةِ، واهتماماتِها معَ ما كان عليه مِن عَمَلٍ وجهادٍ، وتعليمٍ وإدارةٍ لشُؤُون المسلمين!، فتأمَّلْ قولَ النّبيّ ﷺ لعائشةَ رضي الله عنها[1]: «**كنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأُمّ زَرْع**»، بعدَ استماعِهِ لحدِيثها الطّويل بلا مُقاطعةٍ ولا اعتراض.

١- في الحديث الآتي.

عن عائشةَ ﵂ أنّها قالت: جَلَسَ إحدى عشرةَ امرأةً فتَعاهَدْنَ وتعاقَدْنَ أن لا يَكتُمْنَ مِن أخبار أزواجِهنّ شيئًا، قالتِ الأولى: زوجِي لحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ على رأسِ جبَلٍ وَعْرٍ، لا سَهْلٌ فيُرتَقى، ولا سَمِينٌ فيُنتقَل... قالت الحاديةَ عشرةَ: زوجي أبو زرعٍ، فما أبو زرع؟!، أَنَاسَ مِن حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، ومَلأَ مِن شَحْمٍ عَضُديَّ، وبَجَّحَنِي فبَجَحَتْ إليَّ نفسِي، وجدَني في أهْلِ غُنَيمةٍ بشِقٍّ فجعَلَني في أَهْل صَهِيلٍ وأَطِيطٍ ودائِسٍ ومُنَقٍّ، فعندَهُ أقُول، فلا أُقَبَّح، وأرقُدُ فأتَصبَّح، وأشرَبُ فأتَقنَّح، أُمُّ أَبي زَرْع! فما أُمُّ أبي زَرْع؟! عُكُومُها رَدَاح، وبَيتُها فَسَاح!، ابنُ أبي زَرْع! فما ابنُ أبي زَرْع؟!، مَضجَعُه كمَسَلِّ شَطْبَةٍ ويُشبِعُه ذِراعُ الجَفْرة!، بنتُ أبي زَرْع! فما بنتُ أبي زَرْع؟!، طَوْعُ أبيها وطَوْع أُمِّها!، ومِلءُ كِسائها! وغَيْظُ جارَتِها!، جارِيةُ أبي زَرْع! فما جاريةُ أبي زَرْع؟!، لا تَبُثُّ حدِيثَنا تَبثِيثًا!، ولا تُنَقِّثُ مِيرَتَنا تَنقِيثًا! ولا تَملأُ بيتَنا تَعشِيشًا!، قالت: خرَجَ أبو زَرْع والأَوْطابُ تُمْخَض، فلَقِي امرأةً معَها ولَدَانِ لها كالفَهْدَينِ يَلعَبانِ مِن تَحت خَصْرِها برُمَّانَتَيْن، فطلَّقَني ونكَحَها، فنكَحْتُ بعدَهُ رجلاً سَرِيًّا، ركِبَ شَرِيًّا وأخَذَ خَطِّيًّا وأرَاحَ علَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وأعطاني مِن كُلِّ رَائحةٍ زوجًا، قال كُلِي أُمَّ زَرع، ومِيرِي أهلَكِ، فلو جمَعْتُ كُلَّ شيءٍ أعطانِي ما بَلَغَ أصْغَرَ آنِيةِ أبي زَرْع!، قالت عائشةُ: قال لي رسولُ ﷺ: «**كنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأُمّ زَرْع**».[1]

إنّ الزَّوجَين بحاجةٍ إلى هذه اللَّباقةِ واللَّطافة، ليَجعَلا مِن بَيتهما باقةَ وردةٍ يَرِفُّ بها نَسِيمٌ عليل، ورائحةٌ زَكيّة، وصَوْتٌ جَميل.

١- جزءٌ مِن حديثِ أم زرع الطويل، أخرجه البخاري (ح ٥١٨٩)، ومسلم (ح ٢٤٤٨).



الخاتمة

إنّ الكاتبَ في حديثه عن كسْب الأصدقاء والتأثيرِ في الناس اقتَصر على استخدام الكلام اللّيّن، وجانبٍ من حُسْن المعاملة، والهديّة اليسيرة، وأغفَلَ كثيراً من الجوانب الضروريّة في التأثيرِ على الناس وكسْب صداقتِهم والمحافظة عليها مما يُعَدّ من أصول الأخلاق الحسنة التي أمَرَ بها شرعُنا الحنيف!، مثل: الصّدق، والشجاعة، والكرم، والإيثار، والبر، والوفاء، وحُسْن العهد، والصّبر، وكَظْم الغيظ، والعَفْو، والصّفح، وحُسْن الظّنّ، كما يُؤخَذ عليه عدَمُ تحذيرِهِ من الأخلاق السيّئة التي من أُصُولها: الحقدُ، والحسَدُ، والبغضاء والشّحناء، والبُخْل، والشُّحّ، والكذِبُ، والغِيبة، والنّميمة، والمكْرُ، والخديعة، والغَدْرُ والخيانة.

ومعَ هذا القُصُورِ في الكتاب سارَتْ به الرُّكْبان، وتُرجِم إلى كثيرٍ من اللُّغات!، وهذا مما يَدُلّ على إفلاسِ المجتمعات الغربية في جانبِ الأخلاق، وعلى فشَلِ قِيَمِهِم التي بُنِيتْ على تقديم المصالح الشخصيّة على المصالح العامّة.

إنَ العالَمَ بحاجةٍ إلى أخلاق ثابتةٍ عادلة، ذاتِ معاييرَ بيِّنةٍ واضحة، غيرِ محكومة بنظامٍ بشَرِيٍّ متأثّرٍ بأنماطٍ بيئيّة، أو مصلحةٍ آنيّة قوميّة وعِرقيّة.

تُريد الأممُ اليومَ أخلاقاً تُحقِّقُ لها الاستقرارَ النفسيّ، والاقتصاديّ، والاجتماعيّ، والسّياسيّ، ولن تَجِدَ ذلك إلا في الإسلام الذي جاءَ بمَنهجٍ أخلاقيٍّ عالمي عادل يُحقّقُ المصالحَ الشخصيّة، والمصالحَ العامّة، قائمٍ على مُراقبة الله تعالى ورجاءِ ما عندَهُ.

إنّ أيّ قانونٍ أو نظامٍ -مهما بَلغَتْ دِقّتُه وانضباطُه- لا يَستطيعُ أن يُحقِّقَ العَدلَ إلاّ بوُجود الرّقابة الذّاتيّة في الناس وهذه لا توجد إلا في الأخلاقِ المرتبطة بمُراقبة الله تعالى ورجاءِ ما عندَهُ!، وهو الذي حقّقه الإسلامُ في حضارته المديدة.

ولهذا يَنبغي للمسلمين -ولاسيما أهل العلم وحمَلَة الدعوة- تقديمُ هذا المنهجِ السّليم للبشريّة، وإظهارُهُ للعالمين بأعمالهم وأقوالهم في كُلّ ميادين الحياة.

وختاماً أُشيرُ إلى بعضِ الكُتب المهمة التي يَستفيدُ القارِئُ من مُطالعتها المعرفةَ، وكَسْبَ الأخلاق والفضائل، والاطلاعَ على أُنمُوذج مما سطّرتْهُ

أناملُ علمائِنا الأجلاّء في هذا الجانب المهمّ من جوانب العُلوم والحضارة:

- الأدب المفرد للإمام البخاري (ت: ٢٥٦).
- كتاب الأدب من صحيح البخاري.
- أدب الدنيا والدين للماورديّ (ت: ٤٥٠).
- بهجة المجالس وأُنْسُ المُجالس لابن عبد البرّ (ت: ٤٦٣).
- لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤).
- الآداب الشرعية لابن مفلح (ت:٧٦٣).
- مكارم الأخلاق للخرائطيّ (ت: ٣٢٧).
- عين الأدب والسياسة لأبي الحسن بن هذيل (من أعيان القرن الثامن).
- إحياء علوم الدين للغزالي (ت: ٥٠٥).
- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١).
- نضرة النّعيم في أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصِّين.

ومن المختصرات:

- أخلاق حملة القرآن للآجُرّي (ت: ٣٦٠).
- تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ت: ٧٣٣).
- روضة العقلاء لابن حبان البُستيّ (ت: ٣٥٤).
- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للسفّارينيّ (ت: ١١٨٨).
- الأخلاق والسير لابن حزم (ت: ٤٥٦).

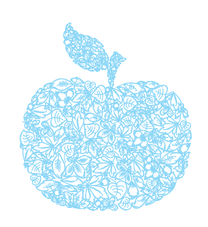
- جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، للقاسمي (ت: ١٣٣٢).
- خلق المسلم لمحمد الغزالي المعاصر.





الفهرس





المراجع

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري (ت: ٣٨٧)، تحقيق رضا نعسان وعثمان الأثيوبي ويوسف الوابل، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، دار الراية، الرياض.

- الأخلاق والسير في مداواة النُّفوس، لابن حزم (ت: ٤٥٦)، تحقيق لجنة تحقيق التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠هـ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- الأدب المفرد، للإمام البخاري (ت: ٢٥٦)، تخريج الألباني، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ، دار الصديق، الجُبيل.

- البداية والنهاية، لابن كثير (ت: ٧٧٤)، الطبعة الثانية، عام ١٩٦٦ م، مكتبة المعارف، بيروت.

- تاريخ الأُمَم والملوك، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار سويدان، عام ١٣٨٧ هـ، بيروت.

- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

- تاريخ دِمَشق، لابن عساكر (ت: ٥٧١)، تحقيق علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤)، تحقيق أحمد بكير محمود، طبعة عام ١٣٨٧ هـ، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزّيّ (ت: ٧٤٢)، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسّسة الرسالة.

- الجامع الصحيح، للإمام البخاري (ت: ٢٥٦)، صورة عن الطبعة الأميرية ببولاق عام ١٣١١ هـ، بإشراف محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت.

- الجامع أو السنن، للإمام الترمذي (ت: ٢٩٧)، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، طبعة المكتبة الإسلامية.

- الجامع في الحديث، لابن وهب (ت: ١٩٧)، تحقيق مصطفى حسن أبو الخير، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ، دار ابن الجوزي، الدمّام.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، تحقيق محمود الطحان، طبعة عام ١٤٠٣هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

- الجامع لشعب الإيمان، لأبي الحسين البيهقيّ (ت: ٤٥٨)، تحقيق عبد العليّ عبد الحميد حامد ومختار الندويّ، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ، الدار السلفية، الهند.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم الأصفهانيّ (ت: ٤٣٠)، المكتبة السلفيّة.

- خِزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي (ت: ١٠٩٣)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة عام ١٤٠٠هـ، مكتبة الخانجي بمصر.

- ديوان الإمام الشّافعي (ت: ٢٠٤)، تحقيق محمد عفيف الزعبي، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٢هـ، مؤسّسة الزعبي، بيروت.

- ذم الهوى، لابن الجوزيّ (ت: ٥٩٧)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ.

- الزهد، لابن المبارك (ت:١٨١)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

- الزهد، للإمام أحمد (ت: ٢٤١)، طبعة عام ١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (ت: ١٤٢٠)، طبعة عام ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

- السنن الكبرى، للإمام النسائي (ت:٣٠٣)، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية.

- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨)، تحقيق يوسف المرعشلي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت.

- السنن، للإمام ابن ماجه (ت: ٢٧٥)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة عام ١٣٩٥ هـ، دار إحياء التراث العربي.

- السنن، للإمام أبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.

- السنن، للإمام عبد الله بن عبد الرحمـن الدارمي (ت: ٢٥٥)، بعناية محمد أحمد دهمان، طبعة دار إحياء السنة النبوية.

- شرح معاني الآثار، للطحاوي (ت: ٣٢١)، تحقيق إبراهيم شمس الدين،الطبعة الثانية عام ١٤٢٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الشريعة، للآجري (ت: ٣٦٠)، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ، مطابع الأشراف، لاهور، باكستان.

- صحيح ابن حبان (ت: ٣٥٤) مع ترتيبه الإحسان لابن بلبان (ت: ٧٣٩)، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- صحيح الإمام مسلم (ت: ٢٦١)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، عام ١٣٧٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صفة الصفوة، لابن الجوزيّ (ت: ٥٩٧)، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة للطباعة والنشر.

- الصمت، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١)، تحقيق أبي إسحق الحويني، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت: ٢٣٠)، تحقيق إحسان عباس، طبعة عام ١٣٩٨ هـ، دار بيروت، بيروت.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيّم الجوزية (ت: ٧٥١)، تحقيق محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

- عيون الأخبار، لابن قتيبة (ت: ٢٧٦)، طبعة مصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٤٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الفوائد، لابن القَيِّم (ت: ٧٥١)، تحقيق أحمد راتب عَرموش، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٤هـ، دار النفائس، بيروت.

- قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١)، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

- كتاب الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤)، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهريّة.

- المؤتلف والمختلف، للدارقطني (ت: ٣٨٥)، تحقيق موفّق بن عبد الله بن عبد القادر، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدِّينَوَرِيّ المالكيّ (ت:٣٣٣)، تحقيق مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم.

- محاسبة النفس والإزراء عليها، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١)، تحقيق مصطفى بن على بن عوض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيّم الجوزية (٧٥١)، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ، دار طيبة، الرياض.

- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٤)، دار الكتاب العربي، بيروت.

- مسند أبي داود الطيالسيّ (٢٠٤)، تحقيق محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مسند الشهاب، للقضاعي (ت: ٤٥٤)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- المسند، لأبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧)، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ، دار الثقافة العربية، دمشق.

- المسند، للإمام أحمد (ت: ٢٤١)، تحقيق جماعةٍ بإشراف عبد الله التركيّ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرّسالة، بيروت.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيريّ (ت: ٨٤٠)، تحقيق موسى محمد علي، وعزت علي عطية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتب الإسلامية.

- المصنف، لابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥)، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة.

- المصنف، لعبد الرزّاق الصنعانيّ (ت: ٢١١)، تحقيق حبيب الرّحمن الأعظميّ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلاميّ.

- المعجم الأوسط، للطبراني (ت: ٣٦٠)، تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين، طبعة عام ١٤١٥هـ، دار الحرمين، القاهرة.

- المعجم الكبير، للطبراني (ت: ٣٦٠)، تحقيق حمدي السلفي الطبعة الثانية، عام ١٤٠٤ هـ، مطبعة الزهراء الحديثة.